سلسلة أبحاث مركز بحوث كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبدالعزيز ـ ١٣

قاعدة

ما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلاً

(دراسة تأصيلية)

صالح بن سليمان بن محمد اليوسف

كلية الشريعة وأصول الدين - جامعة القصيم

مركز النشر العلمي
جامعة الملك عبد العزيز
ص ب: ٨٠٢٠٠ - جدة: ٢١٥٨٩
المملكة العربية السعودية

العنوان البريدي : مركز البحوث بكلية الآداب والعلوم الإنسانية

ص.ب ٨٠٢٠٢ جــدة ٢١٥٨٩ هاتف : ٦٩٥٢٣٥٣ / فاكس : ٦٩٥١٧٣٢

ردمد : ١٦٥٨-٢٨٢٩

رقم الإيداع : ١٦٢٣ / ١٤٢٧

مطابع جامعة الملك عبدالعزيز

تقـــديـم

الحـمـد لله، نحـمده على أن هيأ لنا أسباب العلم النافع ، وأصلي وأسلم على من بعثه الله – عز وجل – معلمًا للبشرية ، سيدنا محمد وعلى آلـه وصحابته أجمعين ...وبعد

فإن من أهم واجبات عضو هيئة التدريس ، إلى جانب العملية التعليمية، الإسهام بفكره ، وإنتاجه الإبداعي في مجال اهتماماته وتخصصه العلمي ، فبذلك يكون قد خدم ذاته وطلابه ومجتمعه، وخدم المعرفة على حد سواء.

ومجال الأبحاث العلمية مجال خصب ، وميدان فسيح للعمل الجاد ، وللإنتاج العلمي المتخصص. فكلما كان العمل البحثي موضوعيًا يعتمد على منهجية واضحة ، كلما كانت نتائجه مرضية ، يمكن الاستفادة منها في خدمة الجامعة والمجتمع بأسره.

ومن هذا المنطلق رأينا في مركز بحوث كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ بجامعة الملك عبدالعزيز ـ أن نؤطر هذه الجهود المبذولة من قبل الزملاء ـ أعضاء هيئة التدريس ـ في مجال البحوث العلمية ، وذلك بإصدار سلسلة علمية تحت مسمى "سلسلة أبحاث مركز بحوث كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبدالعزيز" .

وقد آلينا على أنفسنا المضي قدمًا في هذا التوجه الحضاري العلمي ، لنبرز ماتنتجه قرائح السادة أعضاء هيئة التدريس من الجنسين بالكلية ، وغيرها من الكليات المناظرة في جامعات المملكة .

وها نحن نقدم عقدًا من هذه العقود المناظرة المنظومة باسم « قاعدة ما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلاً (دراسة تأصيلية) والذي أجراه الزميل الأستاذ الدكتور صالح بن سليمان محمد اليوسف .

عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة وأصول الدين – جامعة القصيم .

ونحن إذ نقدم للقارئ الكريم هذه السلسلة العلمية البحثية المحكمة ، فإننا نتوخى مقومات الأصالة ، والعمق ، والموضوعية ، في كل بحث ينشر في هذه السلسلة البحثية ، متطلعين إلى نقد بناء واقتراحات هادفة من أجل الارتقاء بهذه السلسلة إلى الأفضل إن شاء الله تعالى.

موقنين من أن جميع الزملاء والزميلات سيكونون عونًا لنا في هذا المنحى ، من خلال أبحاثهم المتميزة .

والله ولي التوفيق ،،،.

مدير مركز بحوث
كلية الآداب والعلوم الإنسانية

أ.د. إسماعيل بن خليل كتبخانة

المستخلص

معنى القاعدة : في اللغة : أنه إذا كثر العمل والجهد كثر الثــواب، وإذا قل العمل والجهد قل الثواب، فالكثرة و القلة تابعة لكثرة العمل وقلته . وفــي الاصطلاح : أنه إذا اتحد نوع العبادة مع عبادة أخرى، في الشرف، والشرائط، والسنن، والأركان، وسائر الوظائف، وتميزت إحدهما على الأخــرى بزيــادة مشقة غير مقصودة، زادت عليها بالأجر .

وقد دلت النصوص من الكتاب والسنة على اعتبار قاعدة ما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلاً ، فكل ما كثر سعى الإنسان في طرق الخير كلما كثر ثوابه .

وقد وردت عليها مناقشات تفيد أن العبرة بحسن العمل لا بكميته .

وعليه: فللعلماء في القاعدة قولان: أحدهما : القول بمضمون القاعدة، والثاني : إن الفضل لا يتعلق بكثرة العمل، بل يتعلق بنفعه وفائدته وموافقته لمرضاة الله تعالى .

والراجح أنه ما من شك في أن كل ما يجده الإنسان، في طريق قيامه بالعبادة من المشاق محسوب له، فيزيد الثواب بزيادة المشقة، لكن المشقة غير مقصودة من العامل، بل هي من مستلزمات العمل، أما قصد المشقة ذاتها ، فإنه قصد باطل مخالف لقصد الشارع .

والحاصل أن الثواب والأجر يترتب على تفاوت الرتب في الشرف ، فإن تساوت الرتب من كل وجه كان أكثرها .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين أما بعد :

فالسابقون علموا ، أنهم محاسبون ومجزيون على القليل والكثير ، وأن المكثرين معدودون من السابقين ، وأن هذه العاجلة ليست بدار قرار، بل دار امتحان واختبار، فاز فيها من تمسك بقوله تعالى:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (الفاتحة، آية ٥) فالدار دار عبادة قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات ، آية ٥٦).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (البينة، آية ٥) شمر المشمرون فانتصبوا للعبادة، وتسابقوا فيها عملاً بقوله تعالى ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ (المطففين، آية ٢٦) ومثل قوله تعالى:﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ (الصافات ، آية ٦١).

وهداهم إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ (البقرة آية ١٤٨). وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ (الأنبياء، آية ٩٠).

فلما علموا ذلك واستيقنوه، شمروا عن سواعد الجد والاجتهاد، فعبدوا الله عبادة الملائكة ، فقطعوا الليالي والأيام بالركوع والسجود والصيام ، وعمروها بالطاعات، وأكثروا فيها من القربات، فأبوا أن يضيعوا لحظة من أعمارهم في عمارة الدنيا الفانية، بل آثروا الحياة الباقية .

دعاهم الله سبحانه وتعالى إلى المسارعة إلى المغفرة والتوبة وفعل الخيرات، وتجنب المعاصي والشهوات، فبادروا إلى ذلك وابتدروا الطاعات خوفًا من ضياع الأوقات والساعات ، ونصبوا أقدامهم، ورفعوا أيديهم إلى مولاهم، وتعرضوا لنفحاته لعلها تشملهم وتغشاهم. ومن هذا المنطلق تبرز أهمية العمل ، وهل هي بالإكثار من الأعمال ، أو هي بفعل الأفضل منها فالأفضل، أو هي بما كان أكثر تعبًا ونصبا ؟ ، فمن ثم جاءت قاعدة ما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلاً ، أو هي بالمتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم ، أو هي تختلف باختلاف الأوقات والأشخاص ، أو هي بفعل ذلك كله.

هذا ما سنتحدث عنه في قاعدة : ما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلا .

وبهذا تظهر أهمية القاعدة ، وبناء على ذلك يتحرر سبب اختيارها في النقاط التالية :

١) ظن كثير من الناس أن كثرة العمل من صلاة وصيام ونحوهما هي سبب الفوز والفلاح ، ومرضات رب العباد، فانقطعوا لذلك، وضيعوا كثيرًا من الواجبات وسائر المندوبات .

٢) تفريط الكثير من الناس بالنوافل، والاقتصار على الفرائض، واعتمادهم على عفو الله ومغفرته، وتناسى ما في هذه النوافل من رفع المقامات عند رب الأرض والسموات .

٣) ضعف عموم قاعدة : ما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلاً، بل إن هناك أعمالاً خفيفة قليلة الفعل تضاهي في الأجر أضعاف الكثير من الأعمال الكثيرة الشاقة .

٤) خطأ كثير من الناس بل وبعض المنتسبين للعلم في أي الأعمال أفضل، وما ضابطه ، هل هو بالكثرة، أو بالمتابعة للرسول ﷺ أو بالحسن، أو بكونه صوابًا أو بذلك كله، وهل هو عمل واحد مطرد عند جميع الناس، أو أنه يتغير بحسب الأوقات والأشخاص والمناسبات ؟

لهذه الأسباب، وما للعمل من أهمية في التمييز بين المقصرين المفرطين، وبين المتشددين المنقطعين، ولما ينبغي أن يصير عليه المسلم من التوسط في ذلك كله، تم بحث هذه القاعدة .

خطة البحث

يتكون هذا البحث من هذه المقدمة وثلاثة فصول وخاتمة :

الفصل الأول : معنى القاعدة. وفيه مبحثان :

المبحث الأول : معنى القاعدة في اللغة .

المبحث الثاني : معنى القاعدة في الاصطلاح .

الفصل الثاني : أدلة ثبوت القاعدة ومناقشتها وفيه مباحث :

المبحث الأول : أدلة ثبوت القاعدة من القرآن الكريم .

المبحث الثاني : أدلة ثبوت القاعدة من السنة النبوية .

المبحث الثالث : أدلة ثبوت القاعدة من أقوال الصحابة .

الفصل الثالث : في آراء العلماء في القاعدة وفيه مبحثان :

المبحث الأول : استنتاج آراء العلماء في القاعدة من عرض أقوالهم في موضوعها .

المبحث الثاني : الأدلة على أقوالهم في القاعدة .

خاتمة: تتضمن أهم نتائج البحث .

الفصل الأول

معنى القاعدة

- معنى القاعدة في اللغة .
- معنى القاعدة في الاصطلاح .

المبحث الأول
معنى القاعدة في اللغة

تمهيد : عبارات أهل العلم عن القاعدة

للوقوف على معنى القاعدة في اللغة نشير إلى أشهر عبارات العلماء لهذه القاعدة.

فمن هذه العبارات التي جاءت بها القاعدة عبارة السيوطي[١]حيث عبر عنها بقولــه : (ما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلا) [٢] هذا التعبير عن القاعدة هو ما عليه أكثر أهل العلم .

وعبر عنها ابن حجر[٣] بقولــه: (الثواب في العبادة يكثر بكثرة النصب)[٤]. ويقول عنها العز بن عبدالسلام[٥]: (الأجر في التكاليف على قدر

---

(١) هو عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضري السيوطي جلال الدين، ولد سنة ٨٤٩هـ حافظ مؤرخ أديب، له مصنفات كثيرة منها : *الأشباه والنظائر في الفقه الشافعي* ، وفي العربية، توفي سنة ٩١١ هـ .
شذرات الذهب ٨ / ٥١ ، *الضوء اللامع* ٤/ ٦٥ ، *آداب اللغة* ٣ /٢٢٨ .

(٢) *الأشباه والنظائر* ، ص ١٤٣ .

(٣) هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني شهاب الدين أصله من عسقلان ولد سنة ٧٧٣ هـ تنقل في البلاد لسماع الشيوخ ، له مصنفات منها: *لسان الميزان* ، توفي سنة٨٥٢ هـ.
الضوء اللامع ٢ /٣٦ ، *البدر الطالع* ١ / ٨٧ ، *آداب اللغة* ٣ / ١٦٥ .

(٤) *فتح الباري* ٣ / ٦١١ .

(٥) هو عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي الدمشقي المولود سنة ٥٧٧ هـ الملقب بسلطان العلماء ، له مؤلفات منها : *التفسير الكبير* وغيره ، توفي سنة ٦٦٠ هـ .
طبقات الشافعية **لابن السبكي** ٥/٨٠، *فوات الوفيات* ١ /٢٨٧، *النجوم الزاهرة* ٧ /٢٠٨.

النصب إذا اتحد النوع)[١].

ويقول ابن رجب[٢] في التعبير عنها: (إذا تقابل عملان أحدهما ذو شرف في نفسه ورفعة وهو واحد والآخر ذو تعدد في نفسه وكثرة فأيهما أرجح)[٣].

وعبر الزركشي[٤]عن القاعدة بقولـــه: (كلما كثر وشق كان أفضل مما ليس كذلك)[٥].

ومن عبارات أهل العلم التي جاءت أثناء تعليل الأحكام قولـــهم : الكثير أكثر ثوابًا [٦]، وقولـــهم : كل ما كان أكثر وأشق كان أفضل[٧] ، وقولـــهم : ثواب الكثير أكثر[٨] ، وقولـــهم : (ما كان أربى فعلاً فإنه يكون أزكى فضلاً)[٩]

ونحو ذلك من العبارات الشائعة على ألسنة الفقهاء في تعليلهم للأحكام الفقهية .

وهذه العبارات وإن اختلفت في الكلمات إلا أنها بمعنى واحد. وبعد أن وقفنا على جملة من تعبيرات العلماء للقاعدة، نبين المعنى اللغوي لأشهر هذه

---

(١) *قواعد الأحكام* ١ / ٣٦ ، ٣٩ .

(٢) هو عبدالرحمن بن أحمد بن رجب زين الدين البغدادي الدمشقي، ولد سنة ٧٣٦ هـ، له مصنفات منها: شرح جامع الترمذي وغيره، توفي سنة ٧٩٥ هـ
الدرر الكامنة ٢/٤٢٩– ٤٢٨، *شذرات الذهب*١/٣٣٩، *البدر الطالع* ١ / ٣٢٨ .

(٣) *قواعد ابن رجب*، ص٢٢ .

(٤) هو محمد بن بهادر بن عبدالله الملقب ببدر الدين، ولد بمصر سنة ٧٤٥ هـ له مصنفات كثيرة، منها : *البحر المحيط في أصول الفقه* وغيره، توفي سنة ٧٩٤ هـ .
شذرات الذهب ٦/٣٣٥ ، *النجوم الزاهرة* ١٢ /١٣٤، *الدرر الكامنة* ٤/١ / ١٧ – ١٨ .

(٥) *المنثور* ٢ / ٤١٣ .

(٦) *الفواكة الدواني* ١/ ٣١١، *راجع الفروق* ٢ /١٣٣ .

(٧) *إعانة الطالبين* ١/٢٥٤، *مغني المحتاج* ١/٣٤٨ *التمهيد* ٢٢/٥٥.

(٨) *حاشية العدوي* ١/٥٨٠ .

(٩) *الفوائد الجنية* **للفداني** ٢/٢٣٢.

الألفاظ لنتوصل من خلاله إلى معنى القاعدة في اللغة .

معنى ألفاظ القاعدة في اللغة

أشهر كلمات ألفاظ القاعدة هي :

الفعل – الفضل – أكثر – الثواب – النصب – الأجر – التكاليف – المشقة – أربى – أزكى .

الفعل: قال ابن فارس(١): الفاء والعين واللام : أصل صحيح يدل على إحداث شئ من عمل وغيره(٢).

وجاء في لسان العرب : الفعل : كناية عن كل عمل متعدٍ أو غير متعدٍ(٣).

الفضل : قال ابن فارس : الفاء والضاد واللام : أصل صحيح يدل على زيادة في الشئ من ذلك الفضل : الزيادة والخير(٤).

وفي اللسان : الفضل والفضيلة : معروف ضد النقص والنقيصة، والفضل والفضيلة البقية من الشئ(٥).

أكثر : من الكثرة والكثرة ضد القلة : يقول ابن فارس : الكاف والثاء والراء : أصل صحيح يدل على خلاف القلة(٦).

---

(١) هو أحمد بن فارس بن زكريا القزويني المالكي، المولود سنة ٣٢٩ هـ، عالم باللغة والأدب، فقيهًا شافعيًا ثم مالكيًا، له مؤلفات منها: *المجمل* وغيره، توفي سنة ٣٩٥هـ وقيل غير ذلك.
وفيات الأعيان ١ / ١١٨ – ١٢٠ ، *سير أعلام النبلاء* ١٧ / ١٠٣ – ١٠٦ ، *يتيمة الدهر* ٣ / ٣٩٧ – ٤٠٤ .

(٢) *معجم مقاييس اللغة* ٤ / ٥١١ .

(٣) *لسان العرب* ٣ / ٢٩٢ .

(٤) *معجم مقاييس اللغة* ٤ / ٥٠٨ .

(٥) *لسان العرب* ١ / ٢٨١ .

(٦) *معجم مقاييس اللغة* ٥ / ١٦٠ .

والكثرة : بالكسر لغة : رديئة ، وقد كثر يكثر بالضم فهو كثير، وقوم كثير وهم كثيرون وأكثر الرجل كثر ماله[١].

الثواب : والمثوبة جزاء الطاعة وهما مطلق الجزاء قال تعالى : ﴿ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ ﴾ [٢] .

أي : جوزوا ، لأن ثوب بمعنى إثابة قال تعالى : ﴿ بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً ﴾ [٣].

النصب : نصب الشئ أقامه ، ونصب : تعب ، والنصب العناء[٤].

الأجر : الجزاء على العمل، والجمع أجور ، والأجر الثواب[٥].

التكاليف : جمع تكليف، والتكليف الأمر بما يشق ، وهو إلزام ما فيه كلفة[٦].

المشقة : هي الجهد والعناء والتعب والثقل وفي الحديث : « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » [٧].

أي لولا أن أثقل عليهم من المشقة وهي الشدة[٨].

أربى : من ربا الشئ يربوا ، وربا زاد ونما و أربيته نميته وفي

---

(١) *مختار الصحاح*، ص ٤١٣ .

(٢) سورة المطففين، آية ٣٦ .

(٣) سورة المائدة ، آية ٦٠ ، *مختار الصحاح*، ص ٧٤ .

(٤) *لسان العرب*، مادة نصب، ١ / ٧٥٨ .

(٥) *لسان العرب*، مادة أجر، ٤ /١٠ .

(٦) *القاموس المحيط*، ١٠٩٩ .

(٧) الحديث بهذا اللفظ : أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الجمعة باب السواك يوم الجمعة ،١ /٢١٤ .
وأخرجه مسلم، حديث ٢٥٢ في كتاب الطهارة/ باب السواك، ١ / ٢٢٠ .

(٨) *المشقة تجلب التيسير*، ص٤٤ .

التنـــزيل : ﴿ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [١].

أزكى : من زكا يزكوا زكاء وزكوا، والزكاء النماء والربح[٢].

وبهذا العرض الموجز لأشهر ألفاظ القاعدة يكون معناها في اللغة هو : أنه إذا كثر العمل والجهد كثر الثواب ، وإذا قل العمل والجهد قل الثواب ، فالكثرة والقلة تابعة لكثرة العمل وقلته .

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٧٦ ، *لسان العرب*، مادة ربا ، ١٤ / ٣٠٤ .

(٢) *لسان العرب*، مادة زكا، ١٤ / ٣٥٨ .

المبحث الثاني

معنى القاعدة في الاصطلاح

معنى القاعدة إجمالاً

أفادت هذه القاعدة أنه في حالة تساوي الأعمال من جميع الوجوه، كان أكثرها ثواباً أكثرها فعلاً ، ويؤيد ذلك قولــه تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [١].

ومن خلال بحثي وتتبعي للقاعدة في مظانها لم أجد من عرفها في الاصطلاح، شأنها في ذلك شأن أكثر القواعد الفقهية ، وإنما الموجود معاني عامة إجمالية للقاعدة، وتطبيقات فقهية ، إذ هذا هو منهج المتقدمين الذين كتبوا في القواعد الفقهية، فمن ثم حاولت أن أتوصل إلى تعريف اصطلاحي للقاعدة ، وهذا لا يتم إلا بتعريف كل لفظ من ألفاظ القاعدة وذكر تفسير العلماء له، فأقول :

معنى الفعل : يطلق ويراد به الأفعال التي أمر الله بها وطلب أداءها .

كما يطلق ويراد به الأفعال التي أمر الله بتركها ، أي أنه يتناول المأمورات والمنهيات ، فالمأمورات طلب الشارع فعلها كالصلاة مثلاً ، والمنهيات طلب الشارع تركها كالزنى مثلاً .

وقال الجرجاني[٢]: الفعل : (هو الهيئة العارضة للمؤثر في غيره بسبب

---

(١) سورة الزلزلة، الآيتان (٧ – ٨) .

(٢) هو علي بن محمد بن علي المعروف بالجرجاني، ولد سنة ٧٤٠ هـ، من كبار علماء اللغة العربية ومن الفلاسفة، له مؤلفات منها *شرح السراجية* و*مقاليد العلوم*، توفي سنة ٨١٣ هـ .

الضوء اللامع ، ٥ / ٣٢٨ ، *الفوائد البهية*، ص١٢٥ ، *آداب اللغة* ، ٣ / ٢٣٥ .

التأثير أو لا كالهيئة الحاصلة للقاطع بسبب كونه قاطعًا) .

وقيل الفعل : (كون الشئ مؤثرًا في غيره كالقاطع ما دام قاطعًا) (١).

وقال الراغب(٢): الفعل التأثير من جهة مؤثر وهو عام لما كان بإجادة أو غير إجادة ، ولما كان بعلم أو بغير، علم وقصد و غير قصد(٣).

الفضل : الفضل يجمع على فضول ، وهو الزيادة التي هي ضد النقص، كما سبق في المعنى اللغوي .

ويطلق على ابتداء الإحسان بلا علة (٤).

وقال الراغب : الفضل الزيادة عن الاقتصار(٥).

الثواب : قال الجرجاني الثواب ما يستحق به الرحمة والمغفرة من الله، والشفاعة من الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقيل الثواب : هو إعطاء ما يلائم الطبع(٦).

والثواب هو الجزاء بالخير على الطاعة ، كما سبق في معناه اللغوي .

والثواب هو العوض وأصله من ثاب إذا رجع(٧).

---

(١) *التعريفات*، ص ١٦٨ .

(٢) هو الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني المعروف بالراغب، له مؤلفات منها : *محاضرات الأدباء* ، *الذريعة إلى مكارم الشريعة* ، *جامع التفاسير* وغيرها، توفي سنة ٥٠٢ هـ .
كشف الظنون ، ١ /٣٦ ، *آداب اللغة*، ٣ / ٤٤ ، *الأعلام*، ٢ / ٢٥٥ .

(٣) *المفردات في غريب القرآن*، ص ٣٨٢ .

(٤) *التعريفات*، ص ١٦٧ .

(٥) *مفردات الراغب*، ص ٣٨١ ، *طلبة الطلبة*، ص ١٩٣ .

(٦) *التعريفات*، ص ٧٢ .

(٧) تحرير *ألفاظ التنبيه*، ص ٢٤٠ .

بعد هذا العرض الموجز لأشهر ألفاظ القاعدة ، وبعد معرفة المعنى الإجمالي للقاعدة ، وبعد استعراض المعنى اللغوي يمكننا أن نعرف القاعدة في الاصطلاح فنقول:

إذا اتحد نوع العبادة مع عبادة أخرى في الشرف، والشرائط، والسنن، والأركان، وسائر الوظائف، وتميزت إحداهما على الأخرى بزيادة مشقة غير مقصودة زادت عليها بالأجر .

شرح التعريف وبيان محترزاته :

قولنا : (إذا اتحد نوع العبادة مع عبادة أخرى).

المراد بالعبادة : كل فعل يقرب من الله سبحانه وتعالى ، أو كما قال شيخ الإسلام[1] العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأفعال الظاهرة، والباطنة .

وخرج بقولنا : (العبادة) العادة وكل عمل خال من نية التقرب إلى الله، ولو كان بصورة العبادة .

وقولنا : (إذا اتحد النوع) أي إذا اتحد جنس العبادة مع عبادة أخرى بأن كانا من جنس واحد .

وخرج بذلك : ما إذا اختلف الجنس، فإنه في حالة اختلاف جنس العبادة عن الأخرى، فإن التفاوت بينهما تابع لتفاوت جنس العبادة، لا لزيادة أحدهما على الأخرى بالعمل .

---

(١) هو أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي تقي الدين، ولد سنة ٦٦١ هـ كان محيطاً بالمعارف النقلية والعقلية، له مصنفات كثيرة منها : *منهاج السنة* ، *السياسة الشرعية* ، *الإستقامة* وغيرها، توفي معتقلاً بقلعة دمشق عام ٧٢٨ هـ

الدرر الكامنة ١ / ١٤٤ ، *فوات الوفيات* ١ / ٦٢ ، *البداية والنهاية* ١٤ /١٣٥.

فمثلاً : إذا كانت إحدى العبادتين صلاة، والأخرى زكاة، أو جهادًا أو غير ذلك ، فإن التفاوت في هذه الحالة لا لكثرة العمل بل لتغاير جنس العبادتين .

قولنا : (في الشرف) أي أن العبادتين إذا اتحدتا في المكانة والرتبة والمنزلة ، بمعنى أنهما كانا في درجة واحدة في الشرف فلا تفضيل بينهما .

وخرج بقولنا : (في الشرف) إذا تفاوتت العبادتان في الشرف، ككون إحداهما نفل والأخرى فريضة مثلاً .

فلا مجال في هذه الحالة لتفضيل أكثرهما فعلاً .

وقولنا : (والشرائط والسنن والأركان) أي إذا اتحدت العبادتان في الشرائط والسنن، والأركان، فلا تفضيل .

وخرج به : ما إذا اختلفتا في السنن، والشرائط، والأركان ، فإن التفضيل راجع إلى هذا الاختلاف لا إلى كثرة العمل .

قولنا : (وسائر الوظائف) أي إذا اتحدت العبادتان فيما سبق، وسائر الوظائف الأخرى كشرف الزمان والمكان .

فمثلاً : إذا وقعت العبادتان في زمن واحد، مع الاتحاد فيما سبق فلا تفضيل بينهما.

وخرج بذلك : ما لو وقعت إحدى العبادتين في وقت واحد فاضل، والأخرى في غير هذا الوقت ، فعلى هذا يكون زيادة الأجر لا بكون إحدى العبادتين أكثر فعلاً بل لشرف ذلك الوقت الذي وقعت فيه العبادة .

فمثلاً : قيام ليلة من شعبان مع قيام ساعة من ليالي رمضان، فالثانية أفضل وذلك لفضل ليالي رمضان على ليالي شعبان ، بل إن قيام ليلة من رمضان مع قيام ليلة القدر ، الثانية أفضل وذلك لشرف الثانية .

ومثل ذلك الدعاء في سائر الأوقات مع الدعاء في ساعات الإجابة الثانية أفضل لشرف الوقت وهكذا .

وكذا خرج ما لووقع أحد العبادتين في مكان فاضل، والأخرى في هذا المكان ، فيكون زيادة الثواب ، لأجل المكان الفاضل لا لغيره .

فمثلاً : صلاة ركعتين في المسجد الحرام ليست كصلاة في غيره من المساجد ، وصلاة في المسجد النبوي ليست كصلاة في غيره وهكذا .

فزيادة الثواب متعلق في شرف المكان، لا في زيادة الفعل .

قولنا : (لو تميزت إحداهما على الأخرى بزيادة مشقة).

أي إذا اتحدت العبادتان في جميع الوظائف السابقة، وانفردت إحداهما بزيادة مشقة لأجل الله تعالى، فإنه يثاب على تحمل المشقة لا على عين المشاق .

فمثلاً الاغتسال الكامل في الصيف والشتاء متماثلان لاتحادهما في الشرائط والسنن والأركان ، ولا شك أن الاغتسال في شدة الشتاء يزيد أجره على الاغتسال في الصيف لأجل تحمل مشقة البرد، فليس إذاً التفاوت في نفس الفعلين، و إنما حصل التفاوت فيما لزم عنهما من المشقة .

وخرج بقولنا : (بزيادة مشقة غير مقصودة).

ما إذا كانت المشقة مقصودة لذاتها من المكلف .

لأن قصد المشقة لا يخلو من أمرين .

أحدهما : أن يقصد المكلف المشقة نفسها .

ثانيهما : أن يقصد العمل الذي يعظم أجره لعظم مشقته، فإن قصد المكلف الثاني فله ذلك .

وإن قصد المشقة نفسها فهو قصد مخالف لقصد الشارع، لأن الشارع لا يقصد في التكليف نفس المشقة .

فإذاً كل قصد مخالف لقصد الشارع فهو باطل لقولـــه صلى الله عليه وسلم :

« إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » متفق عليه[١].

قولنا : (زاد عليها بالأجر) يعني أن الأعمال إذا تساوت في كل ما سبق، وكان أحدها شاقًا، فقد تساوت في أجرها لتساويها في جميع الوظائف ، وتميز الشاق منها بزيادة الأجر لا لأنه قصد نفس المشقة ذاتها ، بل لأنه قصد العمل الذي يعظم أجره وإن عظمت مشقته، وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها: « أجرك على قدر نصبك »[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العتق وفضله: باب الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق ونحوه ٣ / ١١٩ وفي مواضع أخرى من صحيحه .
وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة : باب قوله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنية.. » ٣ / ١٥١٥ .

(٢) سيأتي تخريجه في ص ٣٣.

الفصل الثاني

أدلة ثبوت القاعدة ومناقشتها

- أدلة ثبوت القاعدة من القرآن الكريم .
- أدلة ثبوت القاعدة من السنة النبوية.
- أدلة ثبوت القاعدة من أقوال الصحابة.

المبحث الأول

أدلة ثبوت القاعدة من القرآن الكريم

كل آية وردت في كتاب الله سبحانه وتعالى دالة على أن ثواب العمل منوطًا بكثرته ، فإنها دليل على قاعدة ما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلاً .

وسنتناول طائفة من هذه الآيات مع بيان وجه الاستدلال، وأقوال العلماء في ذلك :

١- قال الله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١).

دلت هذه الآية على أن ما يقدمه الإنسان من خير سيجده يوم القيامة مدخرًا له قليلاً كان أو كثيرًا ، فالله جل- وعلا - في هذه الآية يحث عباده على الانشغال بما ينفعهم، وتعود عليهم عاقبته يوم القيامة من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، حتى يمكن الله لهم النصر في الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد، لذلك قال الله تعالى : (إن الله بما تعملون بصير) يعني إن الله تعالى لا يغفل عن عمل ولا يضيع لديه سواء كان خيرًا أو شرًا، كثيرًا أو قليلاً فكله محفوظ عنده، و سيجازي كل عامل بعمله(٢).

وقال أبو جعفر بن جرير(٣) في قولـــه تعالى : (إن الله بما تعملون بصير) هذا الخبر من الله للذين خاطبهم بهذه الآيات من المؤمنين ، إنهم مهما فعلوا من خير أو شر، سرًا وعلانية فهو به بصير، لا يخفى عليه منه شئ، فيجزيهم

---

(١) سورة البقرة، آية ١١٠ .

(٢) تفسير *ابن كثير* ١ / ١٥٤ .

(٣) هو محمد بن جرير الطبري المولود سنة ٢٢٤ هـ مفسر فقيه مؤرخ، له مصنفات كثيرة منها : تفسيره المشهور سمع من اسحاق بن أبي اسرائيل وغيره، توفي سنة ٣١٠ هـ . *العبر* ١ / ٤٦٠ ، *البداية والنهاية* ١ / ١٤٥ ، *شذرات الذهب* ٢ / ١٠٦ .

بالإحسان خيرًا وبالإساءة مثلها، وهذا الكلام وإن كان قد خرج مخرج الخبر فإن فيه وعدًا ووعيدًا، وأمرًا وزجرًا، وذلك أنه أعلم القوم أنه بصير بجميع أعمالهم ليجدوا في طاعته، إذا كان ذلك مذخورا لهم عنده حتى يثيبهم عليه كما قال تعالى : (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله) وليحذروا معصيته[١].

وبهذا يتبين أن ما يعمله الإنسان من عمل سيجده مدخرًا له يوم القيامة قليلاً كان أو كثيرًا، ولا إشكال في أنه كلما كان المدخر أكثر، كلما كان الثواب والفضل أكثر وهذا هو نص القاعدة .

٢ - قوله تعالى : ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [٢].

افتتح الله جل وعلا هذه الآية بنفي المساواة بين المجاهدين في سبيل الله، وبين القاعدين من غير أولي الضرر، فالذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم كان فعلهم أكثر من القاعدين ففضلوا على القاعدين بزيادة الدرجات على القاعدين .

فالآية دلت على أن الله فضل المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وأجرًا عظيمًا، فلا يكون القاعدون عن الجهاد بأموالهم بخلاً بها، وبأنفسهم إيثارًا للراحة على التعب، وركوب الصعاب في القتال مساوين للمجاهدين الذين يبذلون أموالهم في الجهاد، ويبذلون أنفسهم بتعريضها للقتل في سبيل الله، فقوله جلا وعلا : (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) .

هذا بيان لمفهوم عدم استواء المجاهدين والقاعدين غير أولى الضرر،

---

(١) *تفسير ابن جرير الطبري* ١ / ٤٩١ .
(٢) سورة النساء ، آية ٩٥ .

وهو أن الله تعالى رفع المجاهدين عليهم درجة وهي درجة العمل الذي يترتب عليه دفع شر الأعداء عن الملة والأمة(١).

وقال الشوكاني(٢): (في هذه الآية التفاوت بين درجات من قعد عن الجهاد من غير عذر، ودرجات من جاهد في سبيل الله بماله ونفسه وإن كان معلوماً، لكن أراد الله سبحانه بهذا الإخبار تنشيط المجاهدين ليرغبوا، وتبكيت القاعدين ليأنفوا).

ثم قال : (وهذا بيان لما بين الفريقين من التفاضل المفهوم من ذكر عدم الاستواء إجمالاً) (٣).

وبهذا العرض لما جاء في كتب التفسير يتبين: أن الآية تصلح لأن تكون دليلاً لقاعدة ما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلاً .

٣- قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾(٤).

دلت هذه الآية وأمثالها على أن لكل عامل درجة تتناسب مع عمله إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، قال ابن كثير(٥): (ولكل درجات مما عملوا) أي

---

(١) *أضواء البيان* ١ / ٣٣٦ ، *تفسير المنار* ٥ / ٣٥٠ .

(٢) هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ولد سنة ١١٧٣ هـ فقيه مجتهد، له مؤلفات كثيرة منها : *نيل الأوطار* ، *البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع*، توفي سنة ١٢٥٠ هـ . *البدر الطالع* ٢ / ٢١٤ ، *الأعلام* ٦ / ٢٩٨ .

(٣) *فتح القدير* **للشوكاني** ١ / ٥٠٣ .

(٤) سورة الأنعام، آية ١٣٢ .

(٥) هو إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المولود سنة ٧٠١ هـ أخذ عن شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره، له مؤلفات كثيرة منها : *البداية والنهاية*، توفي سنة ٧٧٤ هـ . *طبقات الشافعية* **لابن قاضي شهبه** ٣ / ١١٣ ، *شذرات الذهب* ٦ / ٢٣١ ، *النجوم الزاهرة* ١١ / ١٢٣ .

ولكل عامل من طاعة أو معصية مراتب ومنازل من عمله يبلغه الله إياها، ويثيبه بها إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر [١].

وقال القرطبي[٢]: ومعنى قولــه (ولكل درجات) أي ولكل عامل بطاعة درجات في الثواب ، ولكل عامل بمعصية درجات في العقاب) [٣].

وقال الشوكاني : (ولكل درجات مما عملوا) أي لكل من الجن والإنس درجات متفاوته مما عملوا فيجازيهم بها بأعمالهم [٤].

كما قال تعالى في آية أخرى : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [٥].

والحاصل مما قيل في هذه الآية، وما يماثلها من آيات، أن لكل عامل درجات ومنازل من جزاء أعمالهم تتفاوت بتفاوتهم فيها، وهذا الفضل والثواب وتفاوت الناس فيه بحسب أعمالهم، هو معنى ما نطقت به قاعدة ما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلاً .

٤- قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى

---

(١) *تفسير ابن كثير* ٢ / ١٧٨ .

(٢) هو محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي من كبار المفسرين صالح متعبد، له مصنفات منها : *الجامع لأحكام القرآن* وغيره، توفي سنة ٦٧١ هـ .
الديباج ، ص ٣١٧ ، *مقدمة الجامع لأحكام القرآن* ، *الأعلام* ٥ / ٣٢٢ .

(٣) *تفسير القرطبي* ٧ / ٨٨ .

(٤) *فتح القدير* ٢ / ١٦٣ .

(٥) سورة الأحقاف، آية ١٩ .

مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ (١).

بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أن العمل هو الذي يستحقون به ما طلبوا من تكفير السيئات ودخول الجنة فقال : (فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم) ذكر الإخراج من الديار بعد الهجرة من باب التفصيل بعد الإجمال، فالهجرة إنما كانت وتكون بالإخراج من الديار وتستتبع ما ذكر في قولــه : (وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا) من الإيذاء والقتال، فمن لم يحتمل القتل بل والتقتيل في سبيل الله تعالى ويبذل مهجته لله - عز وجل - فلا يطمعن بهذه المثوبة المؤكدة في قولــه : (لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار) هكذا يذكر الله تعالى صفات المؤمنين لينبهنا إلى: أن نرجع إلى أنفسنا، ونمتحنها بهذه الأعمال والصفات ، فإن رأيناها تحتمل الإيذاء في سبيل الله حتى القتل فلنبشرها بالصدق منها، والرضوان منه تعالى، وإلا فعلينا أن نسعى لتحصيل هذه المرتبة التي لا ينجى عنده غيرها، وإنما كلف الله المؤمنين هذا التكليف الشاق لأن قيام الحق مرتبط به(٢).

والمقصود في هذا المقام أن هذه الآية أفادت أنه كلما اشتد الأذى بالمسلمين كلما زادت المثوبة من الله - سبحانه وتعالى - ، بل وكلما قابل المؤمنون ذلك الأذى بأنواع التحمل والدفاع عن الحق كلما زادت المثوبة من الله ، فمن ثم يكون ما كان أكثر فعلاً كان أكثر ثواباً وفضلاً ، وبهذا تكون هذه الآية وأمثالها دليلاً لقاعدتنا .

٥ - قال الله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٩٥ .

(٢) *تفسير المنار* ٤ / ٣٠٧ .

وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (١).

فقولـــه تعالى : (ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله) أي ذلك الذي دل عليه النفي من النهي عن التخلف عنه، ووجوب الاتباع له بسبب أن كل ما يصيبهم في جهادهم من أذى وإن قل، ومن إيذاء للعدو وإن صغر، فهو عمل صالح، لهم به أكبر الأجر ، فلا يصيبهم ظمأ لقلة الماء، أو نصب لبعد الشقة، أو قلة الظهر أو مجاعة لقلة الزاد في سبيل إعلاء كلمة الله، وإعزاز دينه.

(ولا يطئون موطئًا يغيظ الكفار) وطؤهم إياه لأنه من دارهم، ويعدون وطأه اعتداء عليهم، واستهانة بقوتهم فيغيظهم أن تمسه أقدام المؤمنين، فكيف إذا يسر الله فتحه لهم (ولا ينالون من عدو نيلا) أي ولا يبلغون من أي عدو من أعداء الله ورسوله شيئاً مما أرادوا من جرح، أو قتل، أو أسر، أو هزيمة، أو غنيمة (إلا كتب لهم به عمل صالح) أي كتب لهم بكل واحد مما ذكر عمل صالح مرضي الله تعالى فجزى عليه الثواب العظيم ، فما كثرة هذه الأعمال الصالحات التي تعم الأمور العارضة كالجوع والعطش، وتشمل كل حركة من بطشة يد، أو وطأة قدم (إن الله لا يضيع أجر المحسنين) هذا تعليل لهذا الأجر العظيم يدل على عموم الحكم .

والصحيح أن الآية عامة للمسلمين إلى أن تقوم الساعة لا خاصة بأصحابه صلى الله عليه وسلم .

ولا يخفى التفاوت في الأجر في الجهاد في سبيل الله في كل زمان ومكان .

ويقول الله تعالى في الآية التالية : (ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديًا إلا كتب لهم) الآية . أي كذلك شأنهم فيما ينفقون في سبيل الله صغر أو كبر، قل أم كثر، وفي كل واد يقطعونه في سيرهم، غادين، أو

---

(١) سورة التوبة ، الآيتان (١٢٠ - ١٢١).

رائحين إلا كتب لهم في صحائف أعمالهم[١].

وبهذا صارت الآية دليلاً على قاعدة ما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلاً .

فكل سعي يسعاه الإنسان قليلاً كان أو كثيراً يثاب عليه، فكلما كثر سعيه في طـرق الخير كلما كثر ثوابه، كما هو واضح من هذه الآية حيث ذكر الله – جل وعلا – أموراً كثيرة في هذه الآية فلا شك أن من اجتمعت فيه كل هذه الأعمال كان ثوابه أكثر، ومن لم تجتمع فيه كان ثوابه أقل، وهذا ظاهر والله أعلم .

٦ – قال تعالى:﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ﴾ [٢] وقال تعالى: ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾ [٣] وقال ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [٤] وقال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [٥] وقال تعالى: ﴿ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [٦] وقال تعالى:﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [٧] وقال تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ [٨].

في هذه الآيات وأمثالها الإشارة إلى أن الإكثار من ذكر الله وتسبيحه

---

(١) *تفسير المنار* ١١ / ٧٥ – ٧٦ ، و *تفسير ابن كثير* ٢ / ٤٠٠ .
(٢) سورة آل عمران، آية ٤١ .
(٣) سورة طه، الآيتان (٣٣ – ٣٤).
(٤) سورة الحج، آية ٤٠ .
(٥) سورة الشعراء، آية ٢٢٧ .
(٦) سورة الأحزاب، آية ٢١ .
(٧) سورة الأحزاب، آية ٣٥ .
(٨) سورة الأحزاب الآيتان (٤١ – ٤٢) .

سبب من أسباب المغفرة وحصول الأجر العظيم سواء ما جاء منها بأسلوب الخبر أو ما جاء بأسلوب الإنشاء، فالكل أفاد أن الإكثار من ذكر الله وتسبيحه دال على زيادة الأجر، وهذا هو ما دلت عليه قاعدة ما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلاً .

٧- قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [(١)].

في هذه الآية الكريمة ذم الله تعالى المنافقين بأنهم لا يذكرون الله إلا قليلاً، فدل مفهوم الآية على أن الإكثار من ذكر الله يعتبر صفة من صفات المؤمنين، فإذاً الآية تعتبر دليلاً في الترغيب في الإكثار من ذكر الله تعالى ، لما يترتب على الإكثار من الذكر جزيل الثواب ورفع الدرجات، وعليه يترتب زيادة الأجر على حساب زيادة العمل، وهذا هو نص القاعدة التي نتحدث عنها .

٨ – قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [(٢)].

أفادت الآية أن الله تعالى لا يظلم كثيرًا ولا قليلاً ، أي لا يبخسهم من ثواب أعمالهم، ولا يزيد في عقاب ذنوبهم وزن ذرة فضلاً عما فوقها [(٣)].

جاء في تفسير المنار قوله : (بعد ما بين تعالى صفات المتكبرين وسوء حالهم، وتوعدهم على ذلك أراد أن يزيد الأمر تأكيدًا ووعيدًا، فبين أنه لا يظلم أحداً من العاملين بتلك الوصايا قليلاً أو كثيرًا بل يوفيه حقه بالقسطاس المستقيم ... فالآية ترغيب للعاملين في الخير كما قال في سورة الزلزلة ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ [(٤)] الآية .

---

(١) سورة النساء ، آية ١٤٢ .
(٢) سورة النساء ، آية ٤٠ .
(٣) *فتح القدير* ، ١ / ٤٦٧ .
(٤) سورة الزلزلة، آية ٧ .

فمن سمع هذه الآية تعظم رغبته في الخير ورجاؤه في الله تعالى) [١].

فالآية واضحة الدلالة في أنه: كلما زاد العمل وكثر زاد الثواب والأجر، وهذا هو نص قاعدة ما كان أكثر فعلا كان أكثر فضلا .

٩ - قال تعالى ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ [٢].

دلت هذه الآية على أن الأعمال الحسنة تكفر السيئات ، والمراد بالأعمال الحسنة ما يعم الأعمال الصالحة جميعاً حتى ما كان منها تركاً لسيئة كما قال تعالى ﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴾ [٣].

فالآية صريحة في أن الله تعالى يمحو السيئات بالحسنات، ومن المعلوم أنه كلما كانت الحسنات أكثر كانت السيئات التي تمحى أكثر، وعليه كلما زاد فعل الأسباب التي تكثر الحسنات كلما كان الأجر أكثر، والمحو للسيئات أكثر، وهذا هو ما دلت عليه القاعدة .

١٠- قال تعالى ﴿ لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ [٤].

بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أنه لا يستوي من آمن وهاجر وأنفق ماله في سبيل الله قبل الفتح، ومن أنفق بعد الفتح، وذاك أنه قبل الفتح كان

---

(١) *تفسير المنار* ٥ / ١٠٥ .

(٢) سورة هود، آية ١١٤ .

(٣) سورة النساء،آية ٣١ ، *وتفسير المراغي* ١٢ / ٩٥ ، و *فتح القدير* ٢ / ٥٣٢ .

(٤) سورة الحديد، آية ١٠ .

الناس في جهد وضيق ومشقة عظيمة ولم يؤمن إذ ذاك إلا الصديقون ، أما بعد الفتح فقد انتشر الإسلام، ودخل الناس في دين الله أفواجا ومن ثم قال تعالى : (أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) .

قال قتادة[١] كان قتالان : أحدهما أفضل من الآخر ، ونفقتان إحداهما أفضل من الأخرى ، كان القتال والنفقة قبل فتح مكة أفضل من القتال والنفقة بعد ذلك .

وإنما كانت النفقة والقتال قبل الفتح أفضل من النفقة والقتال بعد الفتح ، لأن حاجة الناس كانت إذ ذاك أكثر وهم أقل وأضعف .

وقوله تعالى : (أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) أي أرفع منزلة وأعلا رتبة من الذين أنفقوا أموالهم في سبيل الله من بعد الفتح، وقاتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال عطاء[٢] درجات الجنة تتفاضل ، فالذين أنفقوا من قبل الفتح في أفضلها.

وقال الزجاج[٣] : (لأن المتقدمين نالهم من المشقة أكثر مما نال من بعدهم، وكانت بصائرهم أيضًا أنفذ) [٤].

---

(١) هو قتادة بن دعامة الحافظ الأعمى السدوسي، ولد سنة٦١هـ روى عن أنس والحسن وروى عنه أبو حنيفة والأوزاعي ، قال أحمد: قتادة أحفظ أهل البصرة، توفي سنة ١١٨هـ.
تذكرة الحفاظ ١ / ١١٥ ، *والبداية والنهاية* ٩ /٣١٣، و *طبقات المفسرين* ٢ /٤٣.

(٢) هو محمد بن أبي رباح أسلم المكي من أئمة التابعين وأجلة الفقهاء وكبار الزهاد، سمع جابر بن عبدالله الأنصاري وعبدالله بن عباس وغيرهم، توفي سنة ١١٥ هـ .
العبر ١ / ١٠٨ ، *طبقات ابن سعد* ٥ / ٤٦٧ ، *سير أعلام النبلاء* ٥ / ٧٨ .

(٣) هو إبراهيم السري بن سهل الزجاج النحوي اللغوي المفسر أقدم أصحاب المبرد، له مصنفات منها : *معاني القرآن والاشتقاق والأمالي*، توفي سنة ٣١١ هـ .
العبر ١ / ٤٦١ ، *معجم الأدباء* ١ / ٤٧ ، *نزهة الألباب* ، ص ٣٠٨ .

(٤) *فتح القدير* ٥ / ١٦٨ ، *تفسير المراغي* ٢٧ / ١٦٥ ، *تفسير ابن كثير* ٤ /٣٠٦.

وهذا التفاوت العظيم في المنازل والدرجات الحاصل بسبب كثرة الأعمال والمشاق العظيمة التي تحملوها في سبيل الله، إنما كان ذلك بين الصحابة رضي الله عنهم لا بينهم وبين من أتى بعدهم من التابعين، ويؤيد ذلك قولـه صلى الله عليه وسلم ما جاء في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » [١].

وبهذا يتضح أن كثرة الأعمال الصالحة، وما يترتب على ذلك من جهد محسوب في ميزان العبد ، وهذا هو معنى قاعدة ما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلاً .

١١ – قولـه تعالى ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [٢].

دلت هاتان الآيتان أن كل ما يجده العبد في طريق قيامه بالعبادة وسائر التكاليف، محسوب له في المثوبة قل ذلك أم كثر، وهذا صريح في هاتين الآيتين فلو لم يثب عليه لم يصدق معنى العموم المتفق عليه في هاتين الآيتين ، قال ابن جرير الطبري : (فمن عمل في الدنيا وزن ذرة من خير يرى ثوابه هنالك (ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره) يقول : ومن كان عمل في الدنيا وزن ذرة من شر يرى جزاءه هنالك)[٣].

والحاصل أن في الآيتين دلالة واضحة على: أن ما يعمله الإنسان من خير سيلقاه الإنسان ويجزي به ولو كان هذا العمل مثقال ذرة ، فكلما ازداد هذا العمل ازداد ما يجزى به الإنسان من الأجر عند الله تعالى ، فبازدياد الخير يزداد الأجر، وهذا هو ما دلت عليه القاعدة وبهذا تكون الآيتان دليلاً على القاعدة .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذًا خليلاً ٤ / ١٩٥ .
وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة: باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم حديث(٢٥٤٠) ٤ / ١٩٦٧ .

(٢) سورة الزلزلة، الآيتان(٧ – ٨).

(٣) *تفسير ابن جرير الطبري* ٣٠ / ٢٦٧ .

المبحث الثاني
أدلة ثبوت القاعدة من السنة النبوية

وبعد هذا العرض لبعض الأدلة الدالة على القاعدة من كتاب الله تعالى نبين ما تيسر من الأحاديث الدالة عليها أيضًا ، لأن السنة النبوية جاءت مفسرة لما أجمل في كتاب الله تعالى، وجاءت أيضًا مؤكدة لما في كتاب الله ، وكما أنها جاءت مؤكدة ومفسرة فكذا جاءت مؤسسة لأحكام لم ترد في القرآن الكريم، فجاءت السنة القولية والفعلية دالة على قاعدة : ما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلاً كما سيتضح ذلك من عرض جملة من هذه النصوص النبوية، فمن ذلك ما يلي :

١. ما روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « يا رسول الله يصدر الناس بنسكين وأصدر بنسك فقيل لها انتظري فإذا طهرت فاخرجي إلى التنعيم فأهلي ثم ائتينا بمكان كذا ولكنها على قدر نفقتك أو نصبك »[(١)].

هذا الحديث دل على أن مقدار الثواب على مقدار المشقة فأنيط الثواب بالنصب ، لهذا قال السيوطي : (هذا الحديث أصل القاعدة)[(٢)].

وقال النووي[(٣)]: وقولـه صلى الله عليه وسلم : (ولكنها على قدر نصبك أو قال نفقتك) .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العمرة: باب أجر العمرة على قدر النصب ٢ / ٢٠١ .
وأخرجه مسلم في كتاب الحج: باب بيان وجوب الإحرام ٢ / ٨٧٧ ، واللفظ للبخاري .

(٢) *الأشباه والنظائر* ، ص ١٤٣ .

(٣) شرف بن مري النووي، ولد سنة ٦٣١ هـ حافظ زاهد فقيه، له مصنفات منها : *المنهاج وشرح المهذب* وغيرها، توفي سنة ٦٧٦ هـ .
طبقات الشافعية **للسبكي** ٥ / ١٦٥ ، *والبداية والنهاية* ١٣ / ٢٧٨ ، *وطبقات الشافعية* **لابن قاضي شهبه** ٢ / ١٩٤ .

هذا ظاهر في أن الثواب والفضل في العبادة يكثر بكثرة النصب والنفقة، والمراد النصب الذي لا يذمه الشرع وكذا النفقة [١].

وبهذا يتضح أن الحديث نص في القاعدة، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرها أن تنتظر حتى تطهر، وإذا طهرت تخرج إلى التنعيم، ثم تهل بالعمرة، ثم تلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم في مكان حدده لها صلى الله عليه وسلم ، وهذا العمل الذي أمرها به النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ منها جهدًا ووقتًا، وفي هذا كلفة ومشقة ولهذا جاء في الحديث ولكنها على قدر نفقتك أو نصبك).

وقد اختلف العلماء في المراد بـــ (أو) في الحديث على قولين :

القول الأول : إنها للتنويع ، ويدل على ذلك ما رواه الدار قطني من طريق هشيم عن ابن عوف بلفظ (إن لك من الأجر على قدر نصبك ونفقتك) [٢] بواو العطف .

والمعنى على هذا إن الثواب في العبادة يكثر بكثرة النصب والنفقة ، والمراد بالنصب الذي لا يذمه الشرع، وكذا النفقة هكذا قيده النووي كما سبق .

القول الثاني : إنها للشك : ويدل على هذا القول : ما رواه الإسماعيلي من طريق أحمد بن منيع عن إسماعيل (على قدر نصبك أو على قدر تعبك)

وفي رواية له من طريق حسين بن حسن (على قدر نفقتك أو نصبك)

أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣].

وعليه يكون الحديث دليلاً من أدلة قاعدة ما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلاً . كما سيأتي مناقشة ذلك – إن شاء الله تعالى – .

---

(١) *شرح النووي لصحيح مسلم* ٨ / ١٥٢ – ١٥٣ .

(٢) أخرجه **الدار قطني** في كتاب الحج: باب المواقيت حديث ٢٢٨ ، ٢ / ٢٨٦ .

(٣) *فتح الباري* ٣ / ٤٨٧ ، *عمدة القارئ* ١ / ١٢٤ .

٢. ما روى عن جابر رضي الله عنه أنه قال : خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمه: أن ينتقلوا إلى قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا إلى قرب المسجد، فقالوا : نعم يا رسول الله ، قد أردنا ذلك ، فقال : بني سلمة دياركم تكتب آثاركم ، دياركم تكتب آثاركم)[١].

وفي رواية : (قالوا : ما يسرنا أنا كنا تحولنا).

وفي رواية : (عن جابر ، قال : كانت ديارنا نائية عن المسجد فأردنا أن نبيع بيوتنا ، فنتقرب من المسجد ، فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن لكم بكل خطوة درجة)[٢].

دل هذا الحديث على أنه كلما زادت الخطوات زاد الأجر، فجعل كثرة الثواب منوطًا بكثرة الخطوات، وعليه يتحقق معنى قاعدة ما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلاً فيكون الحديث دليلاً عليها .

٣ . عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أعظم الناس أجرًا في الصلاة أبعدهم إليها ممشى فأبعدهم ، والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجرًا من الذي يصليها ثم ينام » .

وفي رواية أبي كريب : (حتى يصليها مع الإمام في جماعة)[٣].

هذا الحديث مكون من شقين كلاهما دليل على القاعدة .

أولهما : أنه اثبت في الحديث أن أعظم الناس أجرًا في الصلاة أبعدهم إليها ممشى فأبعدهم ، وهذا ظاهر الدلالة على أنه كلما كان الإنسان بيته بعيدًا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٦٦٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة: باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد ١ / ٤٦٢ .

(٢) رواه مسلم حديث (٦٦٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة: باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد ١ / ٤٦١ .

(٣) أخرجه مسلم في نفس الموضع السابق ١ / ٤٦٠ .

عن المسجد كلما كان أجره أكثر، وذلك لكثرة الخطا إلى الصلاة ، ويؤيد ذلك ما جاء في الحديث الآخر عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطوتاه إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة »[١].

وهذا الحديث يعتبر نصًا في القاعدة ، حيث أفاد إن كثرة الخطا إلى المساجد سبب في كثرة الأجر .

وثانيهما: أنه أثبت في الحديث أيضًا: أن الذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجرًا من الذي يصليها ثم ينام ، فأفاد ذلك أن الذي يصلي وحده أن له أجرًا كما أن الذي ينتظر ويصلي مع الإمام جماعة أعظم أجرًا ، وما ذاك إلا لأنه أكثر فعلاً وتعبًا حيث انتظر الإمام وصلى معه، فكان أجره أعظم لعظم تعبه، ويؤيد ذلك أيضًا : ما جاء في الحديث الآخر عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة »[٢].

وبهذا يكون الحديث دليلاً على قاعدة ما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلاً .

٤. ما روى عن المغيرة بن شعبة أنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقوم حتى تورمت قدماه وساقاه ، فيقال له : غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فيقول : (أفلا أكون عبدًا شكورا)[٣].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة: باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا، وترفع به الدرجات ١ / ٤٦٢ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة: باب فضل صلاة الجماعة ١ / ٤٥٠ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير (سورة الفتح) باب قولــه (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ٦ / ٤٤ .

وأخرجه مسلم حديث ٩ / ٢٨ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم: باب إكثار الأعمال والإجتهاد في العبادة ٤ / ٢١٧١ ، واللفظ للبخاري .

والدلالة من الحديث واضحة وهي أن هذا الفعل الذي يصنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم من العبادة يريد به الرفعة عند ربه ليصل إلى الدرجة التي أشار إليها بقولـــه صلى الله عليه وسلم « أفلا أكون عبدًا شكورًا » لأن الله أثنى على العبد الشكور بقولـــه تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ﴾ [(١)].

وبهذا يتضح أنه كلما كثر الفعل كثر الأجر عند الله .

٥. ما روى البخاري ومسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال: « ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كفر به من سيئاته » [(٢)].

ووجه الدلالة من الحديث على القاعدة ظاهره وهو أن كل ما يصيب المؤمن من أمراض وأسقام وهموم وأحزان كل ذلك يعتبر من المكفرات للسيئات ، وما ذاك إلا لكثرة تحمل الشخص لذلك، فهذا التحمل، وهذا الإيذاء الذي يصيب المسلم يقابله كثرة التحمل والصبر، فمن ثم يكثر فضله وثوابه عليه .

٦. وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي الأعمال أفضل قال: « أحمزها » [(٣)].

ووجه الاستدلال من الحديث: هو أن أفضل العبادات أحمزها، أي أشقها فبكثرة المشقة يكثر الأجر .

---

(١) سورة الإسراء، آية ٣ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المرض: باب ما جاء في كفارة المرض ٧ / ٢ .
وأخرجه مسلم (٢٥٧٣) كتاب البر والصلة: باب ثواب المؤمن فيما يصيبه ٤ /١٩٩٢.

(٣) لفظ هذا الحديث لا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال في الدر تبعًا للزركشي لا يعرف، وقال ابن القيم : لا أصل له ، وقال المزي : هو غرائب الأحاديث، ولم يرد في شيء من الكتب الستة .
كشف الخفاء ١ / ١٧٥ ، *مدارج السالكين* ١ / ٨٥ .

وقال السرخسي[١]: (سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الأعمال فقال « أحمزها » أي أشقها على البدن)[٢].

والحديث واضح الدلالة على القاعدة بل هو نص فيها .

وهذا الحديث وإن كان لا أصل له إلا أن معناه صحيح، قال القارئ[٣] في الموضوعات الكبرى معناه الصحيح لما في الصحيحين عن عائشة (الأجر على قدر التعب)[٤].

٧. عن عبدالله بن عمرو قال : قال رجل يا رسول الله : أي الهجرة أفضل؟ قال: «أن تهجر ما كره ربك عز وجل ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الهجرة هجرتان هجرة الحاضر وهجرة البادي ، فأما هجرة البادي فيجب إذا دعي ويطيع إذا أمر ، وأما الحاضر فهو أعظمها بلية وأعظمها أجرًا »[٥].

---

(١) محمد بن أحمد بن أبي سهل أبو بكر شمس الأئمة السرخسي كان إمامًا فقيهًا أصوليًا متكلمًا متحدثًا، له مصنفات منها : *المبسوط وأصول السرخسي*، توفي سنة ٤٩١ هـ.
الفوائد البهية ص ص: ١٥٨ – ١٥٩ ، *الجواهر المضيئة* ٢ / ٢٨ ، *مقدمة أصول السرخسي* ١ / ٦ .

(٢) *المبسوط* ١ / ٢٥ .

(٣) هو علي بن سلطان محمد نور الدين القارئ فقيه حنفي ولد في هراه، وسكن مكة وتوفي فيها، له مصنفات منها: *تفسير القرآن* ، *تذكرة الموضوعات* وغيرهما، توفي سنة ١٠١٤ هـ.
التعليقات السنية على الفوائد البهية ، ص ٨ ، *والبدر الطالع* ١ / ٤٤٥ ، *والأعلام* ٥ / ١٢ – ١٣.

(٤) كشف *الخفاء* ١ / ١٧٥ .

(٥) أخرجه النسائي في كتاب البيعة: باب هجرة البادي ٧ / ١٤٤ ، وأخرجه الطيالسي في مسنده حديث (٢٢٧٢) ٩ / ٣٠٠ ، وأخرجه أحمد ٢ / ١٦٠ ، ١٩١ ، ١٩٥ ، وأخرجه ابن حبان (٥١٧٦) وعن طريق ابن حبان أخرجه **البيهقي** في *السنن الكبرى* ١٠ / ٢٤٣ ، وأخرجه الحاكم من طريق عن شعبة وصححه ووافقه الذهبي ، وأخرجه أيضًا في نفس الموضع من طريق الأعمش عن عمرو بن مرة .

والاستدلال من هذا الحديث على القاعدة ظاهر، حيث صرح فيه إن الأعظم بلية هو الأعظم أجرًا ، والأعظم بلية هو الأكثر مشقة، وعليه إذا كثرت المشقة وزادت ، زاد الأجر، وهو ما دلت عليه قاعدة ما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلاً.

٨ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل يعدل الجهاد ، قال : « لا أجده : هل تستطيع إذا خرج المجـاهد أن تدخل مسـجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر، قال : ومن يستطيع ذلك »[١].

دل الحديث على أن الجهاد في سبيل الله لا يعدله شئ من الأعمال الصالحة .

- سوى ما ذكر فيه من الأعمال التي لا تستطاع - وهذه فضيلة ظاهرة للمجاهدين في سبيل الله تقتضي أن ألا يعدل الجهاد شئ من الأعمال[٢].

ويؤيد ذلك أيضًا ما جاء في صحيح مسلم من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه بلفظ : (قيل ما يعدل الجهاد قال لا تستطيعونه، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثًا كل ذلك يقول لا تستطيعونه ، وقال في الثالثة ، مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى)[٣].

فدل هذا الحديث على فضل الجهاد في سبيل الله ، وما ذاك إلا لكثرة المشاق التي تصيب المجاهد في سبيل الله .

قال النووي : (وفي هذا الحديث عظيم فضل الجهاد ، لأن الصلاة والصيام، والقيام بآيات الله أفضل الأعمال، وقد جعل المجاهد مثل من لا يفتر

(١) أخرجه البخاري في صحيحه انظر *فتح الباري* ٦ / ٣ .
(٢) *فتح الباري* ٦ / ٣ .
(٣) أخرجه **مسلم** في كتاب الإمارة: باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى ٣ / ١٤٩٨ .

عن ذلك في لحظة من اللحظات ، ومعلوم أن هذا لا يتأتي لأحد، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لا تستطيعونه) (١).

فدل هذا الحديث والحديث الذي أورد البخاري على أفضلية الجهاد في سبيل الله وأنه لا يعدلـــه شئ يستطاع، وما ذاك إلا لكثرة الأعمال والمشاق التي يتحملها المجاهد في سبيل الله ، إذ هو من حين أن يخرج من بيته، وهو في عبادة لله جل وعلا ، وبهذا يتحقق معنى القاعدة : وهو أنه ما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلاً .

٩ . عن أبي هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جُمدان فقال : « سيروا . هذا جمدان ، سبق المفردون ، قالوا : وما المفردون ؟ يا رسول الله قال : الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات » (٢).

دل الحديث على أن الإكثار من ذكر الله سببًا من أسباب السبق ، وما ذاك إلا لكثرة ذكرهم سبقوا من دونهم وهذا نص في القاعدة .

١٠. عن أبي سعيد الخدري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة قال: « الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات قلت : يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله ؟ قال: لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر وتختضب دمًا لكان الذاكرون الله أفضل منه درجة » (٣).

---

(١) *شرح النووي على صحيح مسلم* ١٣ / ٢٥ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار: باب الحث على ذكر الله تعالى ٤/ ٢٠٦٢ .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٣/٧٥ فقال حدثنا الحسن حدثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج عن أبي الهيثم.
فالحديث بهذا الإسناد ضعيف لضعف ابن لهيعة ولضعف رواية دراج .
وأخرجه أبو يعلى حديث (١٣٩٠) من طريق حسن ابن موسى بهذا الإسناد .
وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٩ / ٧٢ من طريق عمرو بن الحارث عن دراج وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠ / ٣٣٧ ، رواه أحمد وأبو يعلى وإسناده حسن على =

والحديث ظاهر الدلالة على أن أرفع الناس درجات يوم القيامة هم: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات ، ولا شك أنه إذا تفاوت الناس في الذكر فأكثرهم ذكراً لله أرفعهم درجة، وهذا هو نص القاعدة .

١١. عن معاذ بن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلاً سأله ، فقال : أي الجهاد أعظم أجرًا قال أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكرا ، قال : فأي الصالحين أعظم أجرًا ، قال : أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة كل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً فقال : أبو بكر لعمر يا أبا حفص ذهب الذاكرون بكل خير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل)[١].

١٢. عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة ، فإنه مشهود وتشهده الملائكة وإن أحدًا لن يصلي علي إلا عرضت علي صلاته حتى يفرغ منها ، قال قلت : وبعد الموت ؟ قال: وبعد الموت إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، فنبي الله حي يرزق »[٢].

=

ضعف راويه .

وأخرجه الترمذي في كتاب الدعاء: باب ما جاء في فضل الذكر حديث (٣٣٧٦) وقال هذا حديث غريب إنما نعرفه من حديث دراج ٥ / ٤٥٨ .

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣ / ٤٣٨ فقال : حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبان عن سهل ابن معاذ فالحديث بهذا الإسناد ضعيف لضعف زيان بن فائد ، ولضعف ابن لهيعة قال الهيثمي : (رواه أحمد والطبراني وفيه زبان بن فائد وهو ضعيف ، وقد وثق ، وكذلك ابن لهيعة وبقية رجال أحمد ثقات) مجمع الزوائد ١٠/٧٤ .

وأخرجه ابن عبد الحكم والطبراني في الكبير ٢٠ / ٤٠٧ من طريقين عن ابن لهيعة بهذا الإسناد.

(٢) أخرجه ابن ماجة في كتاب الجنائز: باب ذكر وفاته ودفنه صلى الله عليه وسلم١ /٥٢٤ .

وفي الزوائد : هذا الحديث صحيح إلا أنه منقطع في موضعين ، لأن عبادة روايته =

هذان الحديثان دلا على أن الإكثار من ذكر الله تعالى من أفضل الأعمال، وأكثرها ثوابًا عند الله جل وعلا ، فكلما كثر ذكر الله ازداد الثواب، وهذا هو مدلول قاعدة : ما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلاً، وبهذا تكون هذه الأحاديث وأمثالها – كثير – دليًلا على القاعدة .

١٣. عن ابن عمر رضي الله عنه قال كنت غلامًا شابًا .... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن عبد الله رجل صالح لو كان يكثر الصلاة من الليل » .

قال الزهري : وكان عبد الله بعد ذلك يكثر الصلاة من الليل .

وفي لفظ البخاري أيضًا : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن عبد الله رجل صالح ، فقال نافع : لم يزل بعد ذلك يكثر الصلاة »[1].

هذا الحديث صريح في أن الإكثار من الصلاة سبب في رفعة الدرجات، وعليه فيكون الأجر على قدر كثرة الصلاة، وهذا نص القاعدة .

١٤. عن عبدالملك بن عمير قال : كان غلام بالمدينة يكنى أبا مصعب فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه سنبل ففرك سنبلة ثم نفخها ثم دفعها إليه فأكلها... قال أبو مصعب ثم قمت من عنده غير بعيد ثم رجعت إليه فقلت يا رسول الله أدع الله أن يجعلني معك في الجنة قال «من علمك هذا قلت لا أحد قال : أفعل فلما وليت دعاني قال : أعني على نفسك بكثرة السجود»[2] الحديث.

=

عن أبي الدرداء مرسلة، قاله العلاء وزيد بن أيمن عن عبادة مرسلة ، قاله البخاري انظر *سنن ابن ماجة* ١ / ٥٢٤.

(١) أخرجه البخاري في كتاب التعبير: باب الأخذ على اليمين في النوم ٨ / ٨٠ – ٨١ ، وفي باب الأمن وذهاب الروع في المنام ٨ / ٨٠ .

(٢) قال الهيثمي رواه البزار وأولـــه يشبه أن يكون مرسلاً في أثناء الحديث قال : قال أبو مصعب ، فالظاهر أنه سمعه منه والله أعلم .
ورجاله رجال الصحيح غير طالوت بن عبادة وهو ثقة ، *مجمع الزوائد* ٩ / ٣٩٩ .

فالحديث ظاهر الدلالة في أن كثرة السجود سبب من أسباب رفع الدرجات، وهذا نص في القاعدة .

١٥. عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم ، أعظم أجرًا من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم »[1].

هذا الحديث فيه بيان فضل المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم، على المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم .

ومن المعلوم أن من يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم مشقة من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم ، وعلى هذا يكون الحديث فيه فضل فعله على غيره فيكون الأكثر فعلاً أكثر ثوابًا، وهذا هو نص القاعدة .

١٦. وعن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل الصلاة طول القنوت » وفي لفظ : عن جابر قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الصلاة أفضل ؟ قال : «طول القنوت »[2].

---

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب الفتن: باب الصبر على البلاء ٢ / ١٣٣٨ ، من طريق عبدالواحد بن صالح عن إسحاق بن يوسف ، وأورده ابن حجر من هذا الطريق في الفتح ١٠ / ٥١٢ وحسن إسناده مع أن فيه عبد الواحد بن صالح وهو مجهول، كما قاله ابن حجر في التقريب ١ / ٥٢٦ .
وأخرجه أبو نعيم في *حلية الأولياء* ٧ / ٣٦٥ من طريق داوود الطائي .
وأخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة حديث (٢٥٠٧) ، ٤ / ٦٦٢ - ٦٦٣ .
وأخرجه **أحمد** في *مسنده* ٢ / ٤٣ .
وأخرجه **الطيالسي** ٨ / ٢٥٦ حديث (٨٨٧٦) .
وأخرجه **البخاري** في *الأدب المفرد* ، ص ٣٨٨ .
وأخرجه **البيهقي** في *السنن* ١٠ / ٨٩ .
وأخرجه **البغوي** في *شرح السنة* حديث (٣٥٨٥)، ١٣ / ١٦٣ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها: باب أفضل الصلاة طول القنوت =

دل الحديث أن أفضل الصلاة طول القنوت، وهو كثرة الفعل بعينه، وعليه يكون أفضل الصلاة أكثر فعلاً ، وهذا ما دلت عليه القاعدة .

١٧. عن عامر بن سعد عن أبيه ... قال: قلت يا رسول الله أخلف بعد أصحابي؟ قال : « إنك لن تخلف فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة، ولعلك تخلف حتى ينفع بك أقوام ويضر بك آخرون ... »[(١)].

دل الحديث على أنه كلما أنفق نفقة أجر بها ، وكلما ازداد عملاً صالحًا ازداد به درجة ورفعة، فبازدياد العمل وكثرته يكثر الأجر والثواب من الله جل وعلا، وهذا هو مادلت عليه القاعدة .

قال النووي: (وفي الحديث فضيلة طول العمر للازدياد من العمل الصالح والحث على إرادة وجه الله تعالى بالأعمال)[(٢)].

١٨. عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ولا نرى إلا أنه حج فلما قدمنا تطوفنا بالبيت فأمر النبي صلى الله عليه وسلم من لم يكن ساق الهدي أن يحل ، فحل من لم يكن ساق الهدي[(٣)]... الحديث .

في هذا الحديث وغيره من الروايات الواردة في هذا المعنى أوجب رسول الله صلى الله عليه وسلم على من لم يسق الهدى من أصحابه أن يجعلوها عمرة حيث قال : « من لم يسق الهدي فليجعلها عمرة »[(٤)].

=

١ / ٥٢٠.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الوصية باب الوصية بالثلث ٣ / ١٢٥٠ – ١٢٥١ .

(٢) شرح النووي لمسلم ١١ / ٧٨ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الحج: باب التمتع والقران انظر *فتح الباري* ٣ / ٣٣٤،٣٣٥ .
وأخرجه مسلم في كتاب الحج: باب بيان وجوه الإحرام ٢ / ٨٧٠ .

(٤) أخرجه مسلم في حديث جابر الطويل حديث (١٢١٢) ٢ / ٨٨١ .

وقال «لو استقبلت من أمري ما استبدرت ما سقت الهدي ولأحللت معكم »[١].

وراجعه الصحابة في ذلك وقالوا : يا رسول الله كيف نجعلها عمرة وقد سمينا بالحج – أي لبينا بالحج – قال : «افعلوا ما آمركم به »[٢].

فجعلوها عمرة إلا من ساق الهدي، فإنه لا يمكن أن يتمتع، لأن من ساق الهدي لا يحل إلا يوم العيد .

وعلل العلماء ذلك بأن التمتع أسهل على المكلف ، ولأنه أكثر عملا ، فإذا كان أكثر عملا كان أكثر أجرًا وهذا هو نص القاعدة[٣].

وقال ابن حجر في تفضيل القران على غيره: (عندنا أن القارن يطوف طوافين وسعيين فهو أفضل لكونه أكثر عملاً)[٤].

وقال ابن عبدالبر[٥]: (والإفراد أفضل لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مفردًا فلذلك ، قلت : إنه أفضل لأن آثاره أصح عنه في إفراده ، ولأن الأفراد أكثر عملاً)[٦].

والمقصود أن العلماء عللوا بالقاعدة في أن ما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلاً ، وبهذا يكون هذا الحديث دليلاً على القاعدة .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحج: باب وجوه الإحرام (١٢١٢) ٢ / ٨٨١ .

(٢) أخرجه مسلم في نفس الموضع السابق حديث (١٢١٦) .

(٣) *المتمتع* ٧ / ٨٦ .

(٤) *فتح الباري* ٣ / ٣٤٠ .

(٥) يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي المولود سنة ٣٦٨ هـ بقرطبة كان مؤرخًا حافظًا أديبًا قاضيًا، له مصنفات منها : *الاستيعاب والدرر في اختصار المغازي والسير*، توفي سنة ٤٦٣ هـ .
الوفيات ٢٤٩ ، *وفيات الأعيان* ٧ / ٦٦ – ٧٢ ، *الديباج* ، ص ٣٥٧ .

(٦) *التمهيد* ٨ / ٢١٤ .

١٩. عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم ارحم المحلقين ، قالوا : والمقصرين يا رسول الله ، قال اللهم ارحم المحلقين قالوا : والمقصرين يا رسول اللّه قال والمقصرين » [١].

وقال الليث : حدثني نافع : رحم الله المحلقين مرة أو مرتين[٢].

قال : وقال عبيدالله حدثني نافع وقال : في الرابعة والمقصرين[٣].

دل الحديث على تفضيل حلق الرأس على تقصيره في الحج والعمرة، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم دعا للمحلقين ثلاثاً، وللمقصرين واحدة .

ولا يخفى أن عمل المحلق أكثر من عمل المقصر ، فكان الأكثر أجرًا منهما، من كان عمله أكثر، وهذا ما دلت عليه قاعدة ما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلاً.

٢٠. عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير » [٤].

دل الحديث على أن المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وذلك لأن القوي يكون في عمله أنشط، وتكون أعماله أكثر. قال النووي : (والمراد بالقوة هنا: عزيمة النفس، والقريحة في أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقدامًا على العدو في الجهاد، وأسرع خروجًا إليه، وذهابًا في طلبه، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المشاق في ذات الله تعالى، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات، وأنشط طلباً للعلم ومحافظة عليها ونحو ذلك .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحج: باب الحلق والتقصير عند الإحلال انظر *فتح الباري* ٣ / ٤٤٦ – ٤٤٧ .

(٢) هذا الذي أورده البخاري عن الليث، وصله مسلم في الموضع السابق .

(٣) وهذا أيضًا وصله مسلم في الموضع السابق .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب القدر: باب في الأمر بالقوة وترك العجز ٤ / ٢٠٥٢ .

وأما قولــه صلى الله عليه وسلم (وفي كل خير) فمعناه في كل من القوي والضعيف خير لاشتراكهما في الإيمان مع ما يأتي به الضعيف من العبادات)[١].

وبهذا يتضح أن المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وذلك لكثرة أعماله وتحمله للمشاق في ذات الله، وهذا ما دلت عليه القاعدة .

٢١. عن أنس قال : أتى نبي الله صلى الله عليه وسلم على امرأة تبكي على صبي لها فقال لها : « اتقي الله واصبري ، فقالت : وما تبالي أنت بمصيبتي ، فقيل لها هذا النبي صلى الله عليه وسلم ، فأتته فلم تجد على بابه بوابين فقالت : يا رسول الله لم أعرفك ، فقال : إنما الصبر عند الصدمة الأولى أو عند أول صدمة »[٢].

فقول النبي صلى الله عليه وسلم : (إنما الصبر عند الصدمة الأولى) معناه الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر الجزيل لكثرة المشقة فيه ، وأصل الصدم الضرب في شئ صلب ، ثم استعمل مجازاً في كل مكروه حصل بغتة .

وقال القارئ : معناه عند الجملة الأولى وابتداء المصيبة وأول لحوق المشقة، وإلا فكل أحد يصبر بعدها .

فهذا الحديث واضح الدلالة في أن الذي يصبر عند أول حدوث المصيبة أعظم أجرًا من الذي يصبر بعد ذلك، وذلك لكثرة تحمله وعظم مشقته، وهذا هو نص القاعدة .

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على أنه: كلما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلاً .

ولا فرق في ذلك بين الأحاديث التي جاءت نصًا في موضوع القاعدة أوردت في مناسبات وأغراض أخرى ، أو كانت دلالتها دلالة منطوق أو

---

(١) شرح *النووي على صحيح مسلم* ١٦ / ٢١٥ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز: باب الصبر عند الصدمة الأولى، *فتح الباري* ٣ /١٣٧.
وأخرجه مسلم في كتاب الجنائز: باب في الصبر على المصيبة ٢ / ٦٣٧ .

مفهوم أو نحو ذلك .

فلا تكاد تجد بابًا من أبواب العلم إلا ويوجد فيه أحاديث تدل على أن كل ما يعمله الإنسان من خير أو شر محسوب في ميزان أعماله، قليلاً كان أو كثيرًا ، وإنه كلما ازداد العمل الصالح ازداد الأجر والثواب ، كما هو صريح الأحاديث التي سقتها للدلالة على القاعدة وغيرها كثير .

المبحث الثالث
أدلة ثبوت القاعدة من أقوال الصحابة

وبعد أن ذكرت طائفة من الأدلة من الكتاب والسنة على قاعدة ما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلاً ، أذكر طرفًا من أقوال الصحابة تشهد لهذه القاعدة ، علمًا بأن ما جاء عن الصحابة في ذلك إنما يعتبر تطبيقًا لما جاء في الكتاب والسنة، لذلك لن أطيل في هذا المبحث، بل أشير إشارة سريعة خشية من وقوع التكرار والإطالة من غير طائل، فمن المعلوم أنه اشتهر عن الصحابة رضي الله عنهم التنافس والمسابقة في فعل الخيرات كل ذلك بحثًا عن الأجر والثواب من الله جل وعلا، وهذا التنافس والمسابقة في ذلك ترتب عليه كثرة العمل وفعل الطاعات فمن أقوالهم وأعمالهم التي تشهد لمعنى هذه القاعدة ما يلي :

١ – ما ورد في رقائق ابن مبارك أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه كان يتبع اليوم الشديد الحر فيصومه [(١)].

٢ – ما جاء عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه إذا صلى العشاء أوتر بركعة يقرأ فيها القرآن كله [(٢)].

٣ – ما روى عن ابن عمر وابن الزبير أنهما كانا يواصلان الصيام [(٣)].

٤ – عن ابن عباس قال : ثم يطوف الرجل بالبيت ما كان حلالاً حتى يهل بالحج ... ثم ليدفعوا من عرفات إذا أفاضوا منها حتى يبلغوا جمعاً الذي يبيتون به

---

(١) *الموافقات للشاطبي* ٢ / ١٢٩ .

(٢) *حلية الأولياء* ١ / ٥٧ .

(٣) أخرجه البخاري في التفسير باب ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ٥ / ١٥٨ – ١٥٩ .

ثم ليذكروا الله كثيرًا وأكثروا التكبير والتهليل قبل أن تصبحوا ثم أفيضوا... [١].

٥- ومن ذلك ما جاء أن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أني أقول لأصومن من النهار، ولأقومن من الليل ما عشت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أنت الذي تقول ذلك ؟ فقلت له: قد قلته يا رسول الله ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإنك لا تستطيع ذلك فصم، وأفطر، ونم، وقم، وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر قلت : فإني أطيق أفضل من ذلك، قال صم يومًا وأفطر يومين، قلت إني أطيق أفضل من ذلك يا رسول الله ، قال : صم يومًا وأفطر يوماً، وذلك صيام داود وهو أعدل الصيام ، قلت : فإني أطيق أفضل من ذلك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أفضل من ذلك » .

قال عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما : (لا أكون قبلت الثلاثة الأيام التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي من أهلي ومالي وولدي) [٢].

دل هذا الأثر عن عبدالله بن عمرو وعلى حرص الصحابة رضي الله تعالى عنهم على فعل الخيرات والإكثار منها، فهذا عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما التزم وألزم نفسه بأن يقوم الليل ويصوم النهار ما عاش ، فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأبى إلا ذلك - رضي الله عنه - وذلك محبة منه لفعل الخير والتقرب إلى الله تعالى ، ولازم ذلك والتزم به، فلما كبرت سنه وعجز عن المحافظة على ما التزم به تمنى أن لو كان قبل رخصة النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث روى عنه أيضًا أنه قال : (فأدركني الكبر والضعف حتى وددت أن غرمت مالي وأهلي وأني قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم صيام من كل شهر ثلاثة أيام) .

ففي هذا الأثر وأمثاله دليل على أنه: كل ما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلاً.

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير باب ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ٥ / ١٥٨ - ١٥٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء قولــه تعالى : (وآتينا داود زبورا) ٤ /١٣٣-١٣٤.

٦ – عن يحيى بن حكيم بن صفوان أن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : جمعت القرآن في ليلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني أخشى أن يطول عليك الزمان وأن تمل قراءته ، ثم قال اقرأ في كل شهر ، قال يا رسول الله: دعني استمتع من قوتي ومن شبابي قال : اقرأه في عشرين قلت أي رسول اللّه دعني أستمتع من قوتي وشبابي قال اقرأه في سبع ، قلت يا رسول الله : دعني استمتع من قوتي وشبابي فأبى »[١].

ففي هذا الأثر وأمثاله دلالة واضحة أنه كل ما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلاً .

والآثار الواردة في هذا الشأن عن الصحابة رضي الله عنهم الدالة على معنى هذه القاعدة كثيرة غير عديدة كلها تلهج وتدل على المسابقة في الخيرات والتنافس فيها والإكثار من ذلك .

وكذلك نهج التابعين هذا المنهج فجاء عن مسروق أنه كان يصلي حتى تورمت قدماه .

وجاء عن الأسود بن يزيد أنه كان يجتهد في العبادة والصوم حتى يخضر جسده و يصفر[٢] .

وجاء عن إبراهيم التميمي أنه كان إذا سجد تجئ العصافير تستقر على ظهره كأنه جذام حائط .

وقال : كم بينكم وبين القوم ؟ أقبلت عليهم الدنيا فهربوا منها، وأدبرت عنكم فاتبعتموها [٣].

قال الشاطبي : بعد أن أورد بعضًا من هذه الآثار : (وتأمل أحوال أصحاب الأحوال من الأولياء ، فإنهم ركبوا في التعبد إلى ربهم أعلى ما بلغته

---

(١) أخرجه أبونعيم في حلية الأولياء ١ / ٢٨٥ .

(٢) *الاعتصام* **للشاطبي** ١ / ٣٠٨ – ٣٠٩ .

(٣) أخرجه أبو نعيم في *حلية الأولياء* ٤ / ٢١٢ .

طاقتهم، حتى كان من أصلهم الأخذ بعزائم العلم وترك الرخص جملة)[١].

فهذا وأمثاله دليل على قاعدة ما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلاً .

مناقشة الأدلة

بعد هذا العرض لهذه الأدلة الواردة في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقوال الصحابة رضي الله عنهم ، نورد ما أورد عليها من مناقشات.

أولاً : الأدلة من كتاب الله سبحانه وتعالى : أفاده – كما سبق – أن ما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلاً .

لكن هذه الأدلة معارضة بما جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى ، في أن المعول عليه حسن العمل وشرفه لا كثرته وكميته – كما سيأتي ذلك في الاستدلال على القول الثاني .

ثانيًا : ما جاء من الأحاديث النبوية في الاستدلال على القاعدة .

فنجيب عنها بجوابين :

أحدهما : عام وهو أن المراد حسن العمل وشرفه لا كميته وكثرته .

وثانيهما تفصيلي : فنقول :

١ – حديث عائشة هو أصل القاعدة ومبناها .

يقال عنه : إن محل الرواية التي هي محل الاستشهاد مشكوك فيها من قبل الراوي: هل قال الرسول صلى الله عليه وسلم (على قدر نفقتك) أم قال : (على قدر نصبك) فإن كان الواقع قولــه : (على قدر نفقتك) يسقط الاستشهاد من الحديث ، لأن النفقة لا جهد فيها ولا مشقة وتكون عله الأجر على ما في ذلك من المصلحة .

وإن كان الواقع قولــه : (على قدر نصبك) يكون المراد من الحديث: أن

---

(١) *الموافقات* ٢ / ١٣٠ .

المشقة التي تلازم العبادة يتفاوت الأجر عليها حسب تفاوتها شدة وضعفاً لا من حيث كونها مشقة بل من حيث توقف فعل الطاعة عليها لأن الأجر على هذه المشقة غير الأجر على العبادة نفسها، فأجر العبادة أصالة، وأجر المشقة ثابت تبعًا [١].

وهذا ما قرره النووي في شرحه لهذا الحديث حيث قال : (هذا ظاهر في أن الثواب والفضل في العبادة يكثر بكثرة النصب والنفقة والمراد النصب الذي لا يذمه الشرع) [٢] .

والنصب الذي لا يذمه الشرع هو ما كان وسيلة إلى العبادة لا ما يقصده العبد .

وقال العز بن عبدالسلام : في الجواب عن هذا الحديث أيضًا : (فإن قيل قد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما مسندًا عن عائشة أنها قالت : قلت يا رسول الله يصدر الناس بنسكين وأصدر بنسك واحد ؟ قال : (انتظري فإذا طهرت فأخرجي إلى التنعيم فأهلي منه ثم ألحقينا عند كذا وكذا) قال أظنه قال : (غدًا ولكنها على قدر نصبك أو قال نفقتك) قلت : هذا مشكوك فيه ، هل قال على قدر نصبك أو قال على قدر نفقتك ؟ فإن كان الواقع قولــه على قدر نفقتك فلا شك أن ما ينفق في طاعة الله يفرق بين قليله وكثيره ، وإن كان الواقع قولــه على قدر نصبك ، فيجب أن يكون التقدير على قدر تحمل نصبك... وقد قيل : إن في بعض كتب الله أنه قال : بعيني ما يتحمل المتحملون من أجلي ، وقد علمنا من موارد الشرع ومصادره أن مطلوب الشرع إنما هو مصالح العباد في دينهم ودنياهم ، وليست المشقة مصلحة بل الأمر بما يستلزم المشقة بمثابة أمر الطبيب المريض باستعمال الدواء المر البشع فإنه ليس غرضه إلا الشفاء).

و قال : (وقد يكون قليل العمل البدني أفضل من كثيره وخفيفه أفضل من ثقيله كتفضيل القصر على الإتمام) .

وقال : (ولو كان الثواب على قدر النصب مطلقًا لما كان الأمر كذلك، ولما فضلت ركعة الوتر على ركعتي الفجر ، ولما فضلت ركعتا الفجر على

---

(١) *المشقة تجلب التيسير* ، ص ٣٦٣ .

(٢) *شرح النووي على صحيح مسلم* ٨ / ١٥٢ – ١٥٣ .

مثلها من الرواتب)[١].

وقال العيني[٢] نقلاً عن عبدالسلام في الجواب عن الاستدلال في هذا الحديث: (هذا ليس بمطرد فقد تكون بعض العبادة أخف من بعض وهي أكثر فضلاً بالنسبة إلى الزمان كقيام ليلة القدر بالنسبة لقيام ليالي من رمضان غيرها ، وبالنسبة للمكان كصلاة ركعتين في المسجد الحرام بالنسبة لصلاة ركعات في غيره ، وبالنسبة إلى شرف العبادة المالية والبدنية كصلاة الفريضة بالنسبة إلى أكثر من عدد ركعاتها ومن قراءتها، ونحو ذلك من صلاة النافلة ، وكدرهم من الزكاة بالنسبة إلى أكثر منه من التطوع)[٣].

قال العيني في الجواب عن هذا:(هذا الذي ذكره لا يمنع الأطراد لأن الكثرة الحاصلة في الأشياء المذكورة ليست من ذاتها، وإنما هي بحسب ما يعرض لها من الأمور المذكورة فافهم فإنه دقيق)[٤].

وإذا ضعف الاستدلال بهذا الحديث الذي هو عمدة القاعدة وأصلها، فسائر الأحاديث الواردة في هذا الشأن من باب أولى .

٢ – أما حديث جابر – ونحوه من الأحاديث – فيجاب عنه من وجهين :

الأول: أن أخبار بني سلمة ونحوها أخبار آحاد لا ينتظم منها استقراء، والظنيات لا تعارض القطعيات ، لأن ما نحن فيه من قبيل القطعيات .

الثاني : إن هذه الأحاديث لا دليل فيها على قصد نفس المشقة .

فالحديث الأول : قد جاء في البخاري ما يفسره ، فإنه زاد فيه (فكره

---

(١) *قواعد الأحكام في مصالح الأنام* ١ / ٣١ ، ٣٢ .

(٢) هو محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين العيني المولود سنة ٧٦٢ هـ حنفي مؤرخ محدث له مصنفات منها : *عمدة القارئ في شرح البخاري وتاريخ البدر في أوصاف أهل العصر* توفي سنة ٨٥٥ هـ .
الضوء اللامع ١٠ / ١٣١ ، و *شذرات الذهب* ٧ / ٩٨٦ ، *والجواهر المضيئة* ٧ / ١٦٥ .

(٣) *عمدة القارئ* ١٠ / ١٢٤ .

(٤) *المرجع السابق* .

النبي صلى الله عليه وسلم أن تعرى المدينة ، وقال يا بني سلمة : « ألا تحتسبون آثاركم فأقاموا » [١] وذلك لئلا تخلو ناحيتهم من حراستها .

وقد روى عن مالك بن أنس أنه كان نازلاً بالعقيق ثم نزل إلى المدينة وقيل له عند نزول العقيق : لم تنزل العقيق ؟ فإنه يشق بعده إلى المسجد فقال : بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحبه ويأتيه، وأن بعض الأنصار أرادوا النقلة منه إلى قرب المسجد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا تحتسبون آثاركم » .

فقد فهم مالك أن قولـــه (ألا تحتسبون آثاركم) ليس من جهة إدخال المشقة ولكن من جهة فضيلة المحل المنتقل عنه .

كما ورد في البخاري عن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي العقيق يقول : « أتاني الليلة آت من ربي فقال : صل في هذا الوادي المبارك، وقل : عمرة في حجة » [٢].

وأخرج أبو داود عن مالك قال : (لا ينبغي لأحد أن يجاوز المعرس إذا قفل راجعًا إلى المدينة حتى يصلي فيه ما بداله، لأنه بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرس به) [٣].

٣ - وأما حديث المغيرة ابن شعبة وما شابهه من الأحاديث الدالة على أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بالشدة في بعض العبادات فيجاب عنه بأمور كالتالي :

---

(١) رواه البخاري من حديث أنس رضي الله عنه كتاب فضائل المدينة: باب كراهية النبي صلى الله عليه وسلم أن نعرى المدينة ٢ / ٢٢٤ وانظر ص ٣٥ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الحج: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم العقيق واد مبارك ٢ / ١٤٤ .

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب المناسك: باب زيارة القبور ٢ / ٢١٩ .

أ - إن هذه الشدة التى يعانيها رسول الله صلى عليه وسلم في العبادة لم تكن مقصودة له لذاتها ، فهو عليه الصلاة والسلام لم يكن يبالى أتتورم قدماه أو لا تتورم ، وإنما كان كل مقصوده وهمه أداء عظيم هو حق الله عليه ،وذلك بالإمعان في تحقيق مظاهر العبودية له ،أما قصد المشقة نفسها في العبادات فهو قصد باطل لا دليل عليه من شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا فعل صحابي(١).

ب- وقد يكون تشديد الرسول صلى الله عليه وسلم على نفسه من خصوصياته كما قال : حين نهاهم عن الوصال : « إني لست كهيئتكم إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني »(٢) وأنه يطيق من العمل ما لا تطيقه أمته(٣).

وكان يقول : « أرحنا يا بلال بالصلاة »(٤).

فكان وقوفه وقيامه في الصلاة الطويلة وإن كان شاقاً على غيره، فإنه مريح له عليه الصلاة والسلام .

جـ- وهناك فرق بين عامة المؤمنين الذين دخلوا في ربقة التكاليف بدافع عموم إيمانهم ، وخواصهم الذين دخلوا في ربقة التكاليف، يسوقهم ما هو أشد من مجرد الإيمان كما قال الشاطبي(٥): (فالضرب الأول حاله حال من

---

(١) راجع ضوابط المصلحة، ص ص: ١١٠ - ١١١ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصوم: باب التنكيل لمن أكثر الوصال ٢ / ٢٤٣ .
وأخرجه مسلم في كتاب الصيام: باب النهي عن الوصال في الصوم ٢ / ٧٧٤ - ٧٧٥ .

(٣) *الاعتصام* ١ / ٣٠٨ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥ / ٣٧١ ، ٣٦٥ .
وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب: باب في صلاة العتمة ٤ / ٢٩٦ .

(٥) هو إبراهيم بن موسى بن محمد الشهير بالشاطبي أصولي حافظ كان من أئمة المالكية، له مؤلفات منها: *الموافقات والاعتصام* وغيرهما، توفي سنة ٧٩٠ هـ .
نيل الإبتهاج على هامش الديباج ، ص ٤٦ ، ٥٠ ، *فهرس الفهارس* ١ / ١٣٤ ، *الأعلام* ١ / ٧٥ .

يعمل بحكم عهد الإسلام وعقد الإيمان من غير زائد ، والثاني حاله حال من يعمل بحكم غلبة الخوف أو الرجاء أو المحبة .

فالخوف سوط سائق ، والرجاء حاد قائد ، والمحبة تيار حامل .

فالخائف يعمل مع وجود المشقة، غير أن الخوف مما هو أشق يحمل على الصبر على ما هو أهون وإن كان شاقًا ، والراجي يعمل مع وجود المشقة أيضًا ، غير أن الرجاء في تمام الراحة يحمل على الصبر على تمام التعب ، والمحب يعمل ببذل المجهود إنه أوفى بعهد المحبة ولها قام بشكر النعمة و يعمر الأنفاس ولا يرى أنه قضى نهمه (١).

٤- وأما حديث : « ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب..» الحديث .

هذا الحديث فيه دلالة واضحة أن المصائب محسوبة للإنسان بصرف النظر عن كونها جاءت في سبيل الطاعة أو لا .

والحديث أيضًا : إنما علق على المصائب تكفير السيئات فقط دون استحقاق الثواب والأجر، وهما مختلفان .

إذ أن تكفير السيئات يكفي أن يناط بأي ما يسمى عقوبة، والعقوبات التي تنزل بالإنسان لا حيلة له في دفعها، سواء كانت أخروية أو دنيوية، ومنها وقوع المصائب المختلفة بالإنسان من الأمراض و الأسقام وغير ذلك .

أما إحراز الثواب إنما يكون على الأفعال المكتسبة المقصودة، ومن المعلوم أن المصائب ليست من ذلك .

ومما يؤيد أن هذا الحديث خاص بتكفير الذنوب، أن أبا بكر لما نزل قولـــه تعالى

---

(١) *الموافقات* ١٤١/٢ .

﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ (١).

قال : يا رسول الله كيف الصلاح بعد هذه الآية ؟

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض ألست تحزن قال : قلت : بلى قال : هو ما تجزون به » (٢).

أما الروايات التي جاءت في صحيح مسلم دالة على تعليق الأجر بالمصائب كقولـــه صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتب له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة » (٣).

فهذا الحديث وأمثاله دل على أن المصائب ليست مكفرات فحسب بل يثاب الإنسان عليها مع التكفير .

قال النووي : (في هذه الأحاديث بشارة عظيمة للمسلمين ، فإنه قلما ينفك الواحد منهم ساعة من شيء من هذه الأمور ، وفيه تكفير الخطايا بالأمراض والأسقام، ومصائب الدنيا وهمومها ، وإن قلت مشقتها ، وفيه رفع الدرجات بمثل هذه الأمور، وزيادة الحسنات وهذا هو الصحيح الذي عليه جماهير العلماء) .

وحكى القاضي : (عن بعضهم إنها تكفــر الخطايــا فقــط ولا ترفــع درجة ولا تكتب حسنة قال وروى نحوه عن ابــن مســعود قــال: الوجــع لا يكتب به أجر لكن تكفر به الخطايا فقــط ، واعتمــد علــى الأحاديــث التــي فيهــا تكفيــر الخطايــا، ولــــم تبلغــــه الأحاديــث التــي ذكرهــا مســلم

---

(١) سورة النساء، الآية ١٢٣ .

(٢) *فتح الباري*، ١٠ / ٨٩ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة: باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو نحو ذلك، انظر شرح النووي، ١٦ / ١٢٨ .

المصرحة برفع الدرجات وكتب الحسنات) [١].

والجواب عن هذه الرواية ونحوها التي عناها النووي : إنها جاءت مطلقة عن قيد الرضا وعدمه ، فأما التكفير للسيئات فنستطيع أن نبقي الأحاديث على إطلاقها في ذلك لعدم وجود ما يقتضي التقييد من هذه الناحية لا من المعقول ولا من المنقول، وأما رفع الدرجات فلا مناص من تقييد ظاهر الإطلاق بقيد الصبر والرضا، ودل على ذلك مثل قولــه تعالى ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [٢] وقولــه : ﴿ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [٣] ففي هاتين الآيتين دلالة صريحة في أن الجزاء محصوراً بالسعي والعمل .

قال القرافي [٤] : (المصيبة كفارة للذنوب جزماً، سواء اقترن بها السخط أو الصبر والرضا) [٥].

وقال ابن حجر : (والتحقيق أن المصيبة كفارة لذنب يوازيها، وبالرضا يؤجر على ذلك ، فإن لم يكن للمصاب ذنب عوض عن ذلك من الثواب بما يوازيه) [٦].

أما رفع الدرجات فبتقييد ظاهر الحديث بالصبر والرضا كما جاء في تهذيب الفروق قولــه : (وما في بعض الأحاديث من ترتيب المثوبة على

---

(١) *شرح النووي على صحيح مسلم* ١٦ / ١٢٨ – ١٢٩ .

(٢) سورة النجم، آية ٣٩ .

(٣) سورة الطور، آية ١٦ .

(٤) هو أحمد بن إدريس بن عبدالرحمن أبو العباس شهاب الدين القرافي المالكي، له مصنفات منها: *أنوار البروق في أنواء الفروق* ، *والأحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام* وغيرهما، توفي سنة ٦٨٤ هـ .
الديباج المذهب ١ / ٢٣٧ ، *والوافي بالوفيات* ٦ / ٢٣٣ ، *وحسن المحاضرة* ١ / ٣١٦ .

(٥) *الفروق* ٤ / ٢٣٤ .

(٦) *فتح الباري* ١٠ / ٩١ .

المصائب محمول على ما إذا صبر ليس إلا ، فإنه إن صبر اجتمع له التكفير والأجر، وإن تسخط فقد يعود الذي تكفر بالمصيبة بما جناه من السخط أو أقل منه أو أكثر) [١].

٥- وأما حديث ابن عباس : إن أفضل الأعمال أحمزها .

فهذا الحديث لا أصل له ، قال الزركشي[٢]عنه لا يعرف ، وقال ابن القيم[٣]: لا أصل له .

وقال المزي[٤]: هو من غرائب الأحاديث، ولم يرد في شئ من الكتب الستة [٥].

وبناء على ذلك فلا يصح الاستدلال بالحديث على القاعدة .

وبما أن الحديث معناه صحيح – كما سبق – فإن الجواب عليه هو نفس الجواب على حديث عائشة رضي الله عنها لأنه بمعناه وقد سبق .

---

(١) *تهذيب الفروق* ٤ / ٢٥٢ .

(٢) هو محمد بن بهادر بن عبد الله بدر الدين الزركشي الشافعي فقيه أصولي، ولد سنة ٧٤٥ هـ له مؤلفات منها البحر المحيط والمنثور وغيرهما، توفي سنة ٧٩٤ هـ.
الدرر الكامنة ٣ / ٣٩٧ ، *وشذرات الذهب* ٦ / ٣٣٥ .

(٣) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي أبو عبدالله شمس الدين تتلمذ على يد شيخ الإسلام ابن تيمية، وسجن معه في قلعة دمشق، له مصنفات منها : بدائع الفوائد ، *أعلام الموقعين* وغيرهما، توفي في دمشق سنة ٧٥١ هـ.
ذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٤٤٧ ، *والبداية والنهاية* ١٤ / ٢٠٢ ، *والوافي بالوفيات* ٢ / ٢٧٠ .

(٤) هو يوسف بن عبدالرحمن بن يوسف أبو الحجاج جمال الدين المزي المولود سنة٦٥٤هـ .
حافظ محدث ماهر في اللغة، له مصنفات منها: *تهذيب الكمال في أسماء الرجال و تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف* وغيرهما، توفي بدمشق سنة ٧٤٢ هـ .
الدر الكامنة ٤ / ٤٥٧ ، *النجوم الزاهرة* ١٠ / ٧٦ ، *مفتاح السعادة* ٢ / ٢٢٤ .

(٥) كشف *الخفاء* ١ / ١٧٥ .

٦ - أما حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي جاء فيه قولـــه : (دلني على عمل يعدل الجهاد ...) الحديث ونحوه من الأحاديث الواردة في ذلك.

فيجاب عنه : بأن هذا عام مخصوص تقديره هذا من أفضل الناس، وإلا فالعلماء أفضل، وكذا الصديقون كما جاءت به الأحاديث، ويدل على ذلك أن في بعض طرق النسائي كحديث أبي سعيد : إن من خير الناس رجلاً عمل في سبيل الله على ظهر فرسه [(١)].

ويمكن أن يجاب عن هذا الحديث أيضًا بأن هذه الفضيلة للمجاهدين معارضة بما جاء في حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أنه قال ما العمل في أيام أفضل منها في هذه العشر قالوا : ولا الجهاد قال : ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشئ » [(٢)].

قال ابن حجر : (يحتمل أن يكون عموم حديث الباب - يعني حديث أبي هريرة - خص بما دل عليه حديث ابن عباس ، ويحتمل أن يكون الفضل الذي في حديث الباب مخصوص بمن خرج قاصداً المخاطرة بنفسه وماله فأصيب كما جاء في حديث ابن عباس ، فمفهومه أن من رجع بذلك لا تناله الفضيلة المذكورة) [(٣)].

وأما الأحاديث الواردة في أنه كلما كثر الذكر كثر الأجر .

ففيها النقاش السابق .

وبنحو ما سبق يجاب عن بقية الأحاديث المذكورة .

ثالثاً : أما ما جاء من الآثار في الاستدلال على القاعدة فنجيب عنه بما يلي: ذكر الشاطبي ثلاثة أوجه محتملة فيما نقل عن السابقين هي كالتالي :

---

(١) *عمدة القارئ* ١٤ / ٨٣ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العيدين: باب فضل العمل في أيام التشريق ٢/٧.

(٣) *فتح الباري* ٦ / ٣ - ٤ .

الأول : أن يحمل أنهم إنما عملوا على التوسط الذي هو مظنة الدوام، فلم يلزموا أنفسهم بما لعله يدخل عليهم المشقة حتى يتركوا بسببه ما هو أولى ، أو يتركوا العمل أو يبغضوه لثقله على أنفسهم ، بل التزموا ما كان على النفوس سهلاً في حقهم، إنما طلبوا اليسر لا العسر .

الثاني : يحتمل أن يكونوا عملوا ولا غيره ، وقد يدخل الإنسان في أعمال يشق الدوام عليها ولا يشق في الحال فيغتنم نشاطه في حال خاصة، ويكون جاريًا فيه على أصل رفع الحرج ، حتى إذا لم يستطعه تركه ولا حرج عليه ، ويشعر بهذا المعنى ما في حديث عائشة رضي الله عنها إنها قالت : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول : لا يفطر ، ويفطر حتى نقول : لا يصوم ، وما رأيته استكمل صيام شهر قط إلا رمضان) [١].

الثالث : إن دخول المشقة وعدمه على المكلف في الدوام أو غيره ليس أمرًا منضبطًا بل هو إضافي مختلف بحسب اختلاف الناس في قوى أجسامهم، أو في قوة عزائمهم، أو في قوة يقينهم، أو نحو ذلك من أوصاف أجسامهم أو أنفسهم ، فقد يختلف العمل الواحد بالنسبة إلى رجلين ، لأن أحدهما أقوى جسمًا وأقوى عزيمة أو يقيناً بالموعود، والمشقة قد تضعف بالنسبة إلى قوة هذه الأمور وأشباهها وتقوى مع ضعفها[٢].

وإذا اتضح ذلك تبين أن كثرة العمل ليست هي مناطًا للأجر .

وأما أثر ابن المبارك : فإنه حجة من عمل الصحابي إذا صح سنده عنه، لكنه لا يزيد على أن يكون حجة ظنية ، لأنه خبر آحاد فلا يعمل به فيما نحن فيه من القطع .

---

(١) رواه البخاري في كتاب الصوم، باب صوم، شعبان ٢ / ٢٤٣ – ٢٤٤ .
وأخرجه مسلم في كتاب الصيام: باب صيام النبي صلى الله عليه وسلم في غير رمضان ٢ /٨١٠ .

(٢) *الاعتصام* ١ / ٣١٠ – ٣١٣ .

ومع ذلك فإن أبا موسى الأشعري يحتمل أنه يختار ذلك اليوم الشديد الحر فيصومه، لما فيه من المصلحة الراجحة، كمن يختار الجهاد على نوافل العبادات فيكون اختار نوعاً من العبادة المشقة من لوازمها، ليس لأن فيه قصد التشديد على النفس ليحصل الأجر به ، وإنما فيه قصد الدخول في عبادة عظم أجرها لعظم مشقتها ، فالمشقة تكون في القصد تابعة لا متبوعة ، ومحل الكلام فيما إذا كانت المشقة مقصودة لا تابعة قال الشاطبي : (وأما شأن أرباب الأحوال فمقاصدهم القيام بحق معبودهم مع طرح النظر في حظوظ نفوسهم ، ولا يصح أن يقال : أنهم قصدوا التشديد على النفوس واحتمال المشقات)[١].

وبهذا يتضح أن هذه الآثار وأمثالها التي لا تكاد تحصر عن السابقين من الصحابة والتابعين ، ليس فيها دلالة على أن كل ما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلاً ، بل إن مدار الثواب والفضل على حسن العمل وتمامه لا كثرته وكميته ، ولا يعني ذلك أن المكثرين من الأعمال والطاعات وسائر القربات أن ذلك غير محسوب لهم في ميزان أعمالهم ، بل إن هؤلاء معدودون في الأمة من السابقين – جعلنا الله منهم – لكن المقصود هو أن قصد الإكثار من العمل والتثقيل على النفس الذي يترتب عليه الملل، وبغض العبادة، هو المنهي عنه كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله لا يمل حتى تملوا »[٢].

وكما ورد أيضًا عنه صلى الله عليه وسلم : (أنه رد على عثمان بن مظغون التبتل ، ولو أذن له لختصينا)[٣].

---

(١) *الموافقات* ٢ / ١٢٣ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان: باب أحب الدين إلى الله أدومه ١ / ١٦ .
وأخرجه مسلم في كتاب المسافرين: باب أمر من نعس في صلاته ١ / ٥٤٢ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب النكاح: باب ما يكره من التبتل والخصاء ٦ / ١١٨– ١١٩.
وأخرجه مسلم في كتاب النكاح: باب استحباب النكاح ٢ / ١٠٢٠ .

وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « هلك المتنطعون »[١].

ونهي النبي صلى الله عليه وسلم عن التشديد والإكثار من العبادات في الشريعة الإسلامية بل قد بلغ مبلغ القطع ، وسيتضح في المبحث التالي أن مدار الأعمال على حسنها لا كثرتها .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب العلم: باب هلك المتنطعون ٤ / ٢٠٥٥ .

الفصل الثالث

آراء العلماء في القاعدة

- عرض أقوال وآراء العلماء في موضوع القاعدة .
- الأدلة على أقوالهم في القاعدة .

المبحث الأول

عرض أقوال وآراء العلماء في موضوع القاعدة

لاستنتاج آراء العلماء في القاعدة نستعرض لأقوالهم في موضوع القاعدة :

قال القرافي : الفرق السادس والثمانون بين قاعدة ما يكثر الثواب فيه والعقاب، وبين قاعدة ما يقل الثواب فيه والعقاب ، اعلم أن الأصل في كثرة الثواب وقلته، وكثرة العقاب وقلته أن يتبعا كثرة المصلحة في الفعل وقلتها ... وقد يستوي الفعلان في المصلحة والمفسدة من كل وجه، ويوجب الله أحدهما دون الآخر ... بل قد تترك هذه القاعدة وتعكس بأن يصير الأقل أكثر ثوابًا .

ثم قال : (والأصل هو ما تقدم أن قاعدة كثرة الثواب كثرة الفعل، وقاعدة قلة الثواب قلة الفعل ، فإن كثرة الأفعال في القربات تستلزم كثرة المصالح غالبًا)[١].

وقد أورد لهذه القاعدة أمثلة واستثناءات ذكرها خلال الحديث عنها .

وهكذا فعل السيوطي في أشباهه حيث قال : (ما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلاً، ثم استثنى منها صور معينة) [٢].

وعلى هذا تكون القاعدة جاءت عندهما ومن وافقهما مطلقة في أن ما

---

(١) *الفروق* ٢ / ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣.

(٢) *الأشباه والنظائر* **للسيوطي** ،٦٧ ، ص ١٤٣ .

كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلاً، ثم أوردوا عليها استثناءات .

أما العز بن عبدالسلام فقد خالف في إطلاق هذه القاعدة وذكر أن لها حالتين :

إحداهما : أن يتحد الفعلان في الشرف والشرائط والسنن والأركان غير أن أحدهما أشق من الآخر، ففي هذه الحالة الأشق أفضل من الأخف، لا لذات المشقة بل للعمل الذي لزم منه المشقة في ذات الله[١].

ثانيهما : إذا لم يتحد الفعلان في الشرف، وإن اتحدا في الشرائط والسنن والأركان، فكما قال : (أنه قد يؤجر على أحد العملين المتماثلين ما لا يؤجر على نظيره، مع أنه لا تفاوت بينهما إلا بتحمل مشقة الإيجاب والعقاب والترك)[٢] .

وقال : (فمن الأعمال ما يكون شريفًا بنفسه وفيما رتب عليه من جلب المصالح ودرء المفاسد فيكون القليل منه أفضل من الكثير من غيره، والخفيف منه أفضل من الشاق من غيره، ولا يكون الثواب على قدر النصب في مثل هذا الباب كما ظن بعض الجهلة بل الثواب على قدر خطره في نفسه) [٣].

ثم قال : (والحاصل أن الثواب يترتب على تفاوت الرتب في الشرف ، فإن تساوى العملان من كل وجه كان أكثر الثواب على أكثرهما) [٤].

رأي شيخ الإسلام ابن تيمية في موضوع القاعدة :

تنوعت العبارات عنه في موضوع القاعدة في عدة مواضع من الفتاوى وغيرها فمن أقواله رحمه الله .

قال : قول بعض الناس الثواب على قدر المشقة ليس بمستقيم على الإطلاق ، كما قد يستدل به طوائف على أنواع من الرهبانيات، والعبادات المبتدعة التي

---

(١) *قواعد الأحكام* ١ / ٣١ .
(٢) *المرجع السابق* ١ / ٢٥ .
(٣) *المرجع السابق* ١ / ٢٩ .
(٤) *المرجع السابق* ١ / ٣٠ .

لم يشرعها الله ورسوله من جنس تحريمات المشركين وغيرهم ما أحل الله من الطيبات، ومثل التعمق والتنطع الذي ذمه النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: « هلك المتنطعون » (١).

وقال : « لو مد لي الشهر لواصلت وصالاً يدع المتعمقون تعمقهم » (٢).

مثل الجوع أو العطش المفرط الذي يضر العقل والجسم، ويمنع أداء واجبات أو مستحبات أنفع ، وكذلك الإحتفاء والتعري والمشي الذي يضر الإنسان بلا فائدة مثل: حديث أبي إسرائيل الذي نذر أن يصوم وأن يقوم قائمًا ولا يجلس، ولا يستظل ولا يتكلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « مروه فليجلس وليستظل وليتكلم وليتم صومه » (٣) وهذا باب واسع (٤).

وقال : (فإما كونه مشقًا فليس هو سببًا لفضل العمل ورجحانه، ولكن قد يكون العمل الفاضل مشقًا، ففضله لمعنى غير المشقة، والصبر عليه مع المشقة يزيد ثوابه وأجره، فيزداد الثواب بالمشقة) (٥).

وقال : فكثيرًا ما يكثر الثواب على قدر المشقة والتعب لا لأن التعب والمشقة مقصودة من العمل، ولكن لأن العمل مستلزم للمشقة والتعب هذا في شرعنا الذي رفعت عنا فيه الآصار والأغلال ولم يجهل علينا، فيه حرج ولا أريد بنافية العسر ، وأما في شرع من قبلنا فقد تكون المشقة مطلوبة منهم (٦).

وقال في بيان فضل الأعمال: وأما الأجر على قدر الطاعة فقد تكون

---

(١) سبق تخريجه ، ص ٦٨ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصيام: باب النهي عن الوصال في الصوم ٢ / ٧٧٦ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان والنذور: باب النذر فيما لا يملك وفي معصية ٧/٢٣٤ .

(٤) مجموع *فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية* ١٠ / ٦٢٠ .

(٥) مجموع *فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية* ١٠ / ٦٤٢ .

(٦) مجموع *فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية* ١٠ / ٦٢٢ .

الطاعة لله ورسوله في عمل ميسر كما يسر الله لأهل الإسلام الكلمتين وهما أفضل الأعمال [١].

وقال : (لو قيل الأجر على قدر منفعة العمل وفائدته لكان صحيحًا) [٢].

وقال : (ومما ينبغي أن يعرف أن الله ليس رضاه أو محبته في مجرد عذاب النفس وحملها على المشاق، حتى يكون العمل كل ما كان أشق كان أفضل، كما يحسبه كثير من الجهال أن الأجر على قدر المشقة في كل شئ لا ، ولكن الأجر على قدر منفعة العمل ومصلحته وفائدته، وعلى قدر طاعة أمر الله ورسوله فأي العملين كان أفضل، وصاحبه أطوع وأتبع كان أفضل ، فإن الأعمال لا تتفاضل بالكثرة وإنما تتفاضل بما يحصل في القلوب حال العمل) [٣].

وقال في موضع آخر : (ولكن خير الأعمال ما كان لله أطوع ولصاحبه أنفع وقد يكون ذلك أيسر العملين ، وقد يكون أشدهما فليس كل شديد فاضلاً، ولا كل يسير مفضولاً ، بل الشرع إذا أمرنا بأمر شديد فإنما يأمر به لما فيه من المنفعة لا لمجرد تعذيب النفس) [٤].

وقال والتحقيق : (إن العمل لا يمدح ولا يذم لمجرد كونه لذة ، بل إنما يمدح ما كان لله أطوع، وللعبد أنفع، سواء كان فيه لذة أو مشقة ، فرب لذيذ هو طاعة ومنفعة ، ورب مشق هو طاعة ومنفعة ، ورب لذيذ أو مشق صار

---

(١) مجموع *فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية* ١٠ / ٦٢١ .

(٢) مجموع *فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية* ١٠ / ٦٢١ .

(٣) مجموع *فتاوى شيخ الإسلام* ٢٥ / ٢٨١ – ٢٨٢ .

(٤) مجموع *فتاوى شيخ الإسلام* ٢٢ / ٣١٣ .

منهياً عنه)[١].

وقال : (والمقصود أن أفضل الأعمال وثوابها ليس لمجرد صورها الظاهرة بل لحقائقها التي في القلوب والناس يتفاضلون في ذلك تفاضلاً عظيمًا)[٢].

وأقوال شيخ الإسلام في هذا الموضوع لا تكاد تحصر .

والحاصل إن رأيه في موضوع القاعدة : أنه لا يرى اطلاق كون الأجر على قدر المشقة وكثرة العمل ، ولا يرى أن سبب التفضيل كون العمل شاقًا وكثيرًا ، وإن وجد عملاً شاقًا وكثيرًا فاضلاً وراجحًا على العمل القليل غير الشاق ، فليس ذلك من أجل المشقة وكثرة العمل ، بل لأن العمل مستلزم لها ، وإنما الأجر على قدر الطاعة لله ورسوله، ومنفعة العمل ومصلحته وفائدته، لا بكثرته وصورته الظاهرة، وإنما الأعمال تتفاضل بقدر ما يستقر في القلوب ، فما كان لله أطوع وللعبد أنفع كان أفضل.

رأي ابن القيم في موضوع القاعدة :

قال ابن القيم في شأن السواك لما ذكر الأحاديث والآثار الواردة في فضله : (وإذا كان هذا شأن السواك وفضله، وحصول رضا الرب به، وإكثار النبي صلى الله عليه وسلم على الأمة فيه ، ومبالغته فيه ، حتى عند وفاته وقبض نفسه الكريمة ، لم يمتنع أن تكون الصلاة التي يستاك لها أحب إلى الله من سبعين صلاة.

وإذا كان الثواب لسبعين أكثر فلا يلازم من كثرة الثواب أن يكون العمل الأكثر ثواباً أحب إلى الله تعالى الذي هو أقل منه ، بل قد يكون العمل القليل أحب إلى الله تعالى، وإن كان الكثير أكثر ثوابًا) ...

(فالعمل اليسير الموافق لمرضاة الرب وسنة النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) *الاستقامة لشيخ الإسلام* ١ / ٣٤٠ .

(٢) *منهاج السنة النبوية* ٦ / ٢٢٦ .

أحب إلى الله تعالى من العمل الكثير إذ خلا من ذلك أو عن بعضه) ...

(فهو سبحانه وتعالى يحب أن يتعبد له بالأرض له ، وإن كان قليلاً دون الأكثر الذي لا يرضيه ، والأكثر الذي غيره أرضى منه ، ولهذا يكون العملان في الصورة واحدًا وبينهما في الفضل – بل بين قليل أحدهما وكثير الآخر في الفضل – أعظم مما بين السماء والأرض ، وهذا الفضل يكون حسب رضا الرب سبحانه بالعمل، وقبولـــه له محبته له وفرحه به سبحانه وتعالى كما يفرح بتوبة التائب أعظم فرح ، ولا ريب أن تلك التوبة الصادقة أفضل وأحب إلى الله تعالى من أعمال كثيرة من التطوعات وإن زادت في الكثرة على التوبة .

لهذا كان القبول مختلفاً ومتفاوتاً بحسب رضا الرب سبحانه بالعمل، فقبول يوجب رضا الله سبحانه وتعالى بالعمل ... وقبول : يترتب على كثرة الثواب والعطاء فقط... لكن قبول الرضا والمحبة ... شئ وقبول الثواب والجزاء شئ ... وقبول إسقاط للعقاب فقط وإن لم يترتب عليه ثواب وجزاء ... .

والأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والمحبة والتعظيم والإجلال، وقصد وجه المعبود وحده دون شئ من الحظوظ سواه حتى لتكون صورة العملين واحدة وبينهما في الفضل ما لا يحصيه إلا الله تعالى ، وتتفاضل أيضاً بتجريد المتابعة فبين العملين من الفضل بحسب ما يتفاضلان به في المتابعة ، فتفضيل الأعمال بحسب تجريد الإخلاص والمتابعة تفاضلاً لا يحصيه إلا الله تعالى) .

ويتضاعف هذا إلى كون أحد العملين أحب إلى الله في نفسه ... .

قال : ولا تلتفت إلى ما يقولـــه من غلظ حجاب قلبه من المتكلمين والمتكلفين : إنه يجوز أن يكون العملان متساويين من جميع الوجوه لا تفاضل بينهما، ويثيب الله على أحدهما أضعاف ما يثيب على الآخر ، بل يجوز أن يثيب على هذا ويعاقب على هذا مع فرض الاستواء بينهما من كل وجه) .

قال : (وهذا قول من ليس له فقه في أسماء الرب وصفاته وأفعاله، ولا فقه في شرعه وأمره ولا فقه في أعمال القلوب وحقائق الإيمان بالله ... فلا

يبعد أن تكون صلاة هذا – أي الذي يستاك في صلاته – أحب إلى الله من سبعين صلاة تجردت عن ذلك) [١].

وأمثال هذا الكلام لابن القيم كثير في كتبه رحمه الله تعالى .

والحاصل : إن رأي ابن القيم في موضوع القاعدة : هو أنه لا يلزم من كثرة الثواب أن يكون العمل أكثر ثوابًا وأحب إلى الله، بل قد يكون العمل القليل أحب إلى الله، وإن كان الكثير أكثر ثوابًا بل العمل اليسير الموافق لمرضاة الله ومحبته، وفرحه به، أحب إلى الله تعالى من العمل الكثير الخالي من ذلك ، فالقبول مختلف و متفاوت بحسب الرضا بالعمل .

وأيضًا : الأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والمحبة والتعظيم وتتفاضل الأعمال أيضاً بتجريد المتابعة والإخلاص وفي كون أحد العملين أحب إلى الله في نفسه .

رأي ابن رجب في موضوع القاعدة :

قال ابن رجب القاعدة السابعة عشر: (إذا تقابل عملان أحدهما ذو شرف في نفسه ور فعة وهو واحد، والآخر ذو تعدد في نفسه وكثرة ، فأيهما أرجح ، ظاهر كلام أحمد ترجيح الكثرة ولذلك صور .

أحدهما : إذا تعارض صلاة ركعتين طويلتين وصلاة أربع ركعات في زمن واحد فالمشهور أن الكثرة أفضل ، وحكى عن أحمد رواية أخرى بالعكس ، وحكى عنه رواية ثالثة بالتسوية ...) [٢] .

فابن رجب في هذا الموضوع سلك مسلك حكاية الخلاف، والظاهر من صنيعه في التمثيل للقاعدة أنه يرى أن الأنفع أفضل لا تعليق الأمر بالأكثر .

وبناء على ما سبق من أقوال العلماء في موضوع القاعدة تستطيع أن

---

(١) *المنار المنيف في الصحيح والضعيف* **لابن القيم**، ص ٢٨ وما بعدها .

(٢) *قواعد ابن رجب*، ص٢٢ .

نقول إن للعلماء في القاعدة قولين :

القول الأول : إن ما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلاً غير أنه يستثنى من ذلك صور .

القول الثاني : إن الفضل لا يتعلق بالعمل وكثرته بل يتعلق بنفعه، وفائدته، وموافقته لمرضاة الله تعالى .

المبحث الثاني
في الأدلة على أقوالهم في القاعدة

أدلة القول الأول : القائل ما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلاً ، ومناقشتها هي الأدلة السابقة التي سقناها للاستدلال على القاعدة، وقد سبقت مع مناقشتها في المبحث السابق .

أدلة القول الثاني : القائل أن الفضل يتعلق بنفع العمل وحسنه لا كثرته، الأدلة على هذا القول كثيرة ومتنوعة الدلالة ، فبعضها جاء دالاً على أن المعول عليه حسن العمل لا كثرته ، وبعضها دل على تفضيل بعض الأعمال القليلة على الكثيرة ، وبعضها دل على نفي أن تكون الكثرة مقصودة ، وبعضها دل على أن المشقة غير مقصودة من هذه الأمة ، وإذ لم تكن غير مقصودة لم يصح تعليق أفضلية العمل عليها، فمن هذه الأدلة ما يلي :

أولاً : من كتاب الله تعالى

أقول كل آية وردت في كتاب الله تعالى على أن المعول عليه حسن العمل تصلح أن تكون دليلاً لهذا القول فمن هذه الآيات ما يلي :

١ – قولــه تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [1].

٢ – قولــه تعالى ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن

(١) سورة هود، آية ٧ .

ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

٣ – قولـه تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (٢).

٤ – وقولـه تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ ﴾ (٣).

٥ – وقولـه تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (٤).

٦ – وقولـه تعالى ﴿ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (٥).

٧ – وقال تعالى ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾ (٦).

٨ – وقال تعالى ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ

---

(١) سورة النحل ، الآيتان (٩٦ – ٩٧) .

(٢) سورة الكهف، آية ٧ .

(٣) سورة الكهف، آية ٣٠ .

(٤) سورة العنكبوت، آية ٧ .

(٥) سورة الزمر، آية ٣٥ .

(٦) سورة الأحقاف، آية ١٦ .

وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾[١].

قال ابن القيم : لما استدل بجملة من هذه الآيات .

فهو سبحانه وتعالى إنما خلق السماوات والأرض والموت والحياة وزين الأرض بما عليها ليبلوا عباده أيهم أحسن عملاً لا أكثر عملاً .

والعمل الأحسن هو الأخلص والأصوب، وهو الموافق لمرضاة الله ومحبته دون الأكثر الخالي من ذلك، فهو سبحانه وتعالى يحب أن يتعبد له بالأرض له ، وإن كان قليلاً ، دون الكثير الذي لا يرضيه والأكثر الذي غيره أرضى له ...[٢].

فهذه الآيات صريحة في أن المعتبر في العمل هو حسنه لا كثرته وكميته .

قال ابن كثير: (ليبلوكم) أي ليختبركم أيكم أحسن عملاً ولم يقل أكثر عملاً ، بل أحسن عملاً ، ولا يكون العمل حسناً حتى يكون خالصًا لله عز وجل على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمتى فقد العمل واحدًا من هذين الشرطين حبط وبطل [٣].

وقال الشنقيطي: ومن أسرار هذه الموعظة الكبرى أن الله تبارك وتعالى صرح بأن الحكمة التي خلق الخلق من أجلها هي: أن يبتليهم أيهم أحسن عملاً، ولم يقل أيهم أكثر عملاً، فالابتلاء في إحسان العمل كما قال تعالى في هذه السورة الكريمة ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ

---

(١) سورة الملك، آية ٢ .

(٢) *المنار المنيف*، ص ص : ٣٠ – ٣١ .

(٣) *تفسير ابن كثير* ٢ /٤٣٨ .

لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [١].

وقال في سورة الملك ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [٢].

لا شك أن العاقل إذا علم أن الحكمة التي خلق من أجلها هي: أن يبتلي أي يختبر بإحسان العمل فإنه يهتم كل الاهتمام بالطريق الموصل لنجاحه في هذا الاختيار [٣].

وقال الطبري : في قوله تعالى : (ليبلوكم أيكم أحسن عملاً) أي ليختبركم أيكم أحسن عملاً (أيكم أحسن له طاعة) [٤].

ويؤيد ذلك ما جاء عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذه الآية (ليبلوكم أيكم أحسن عملاً) قال أيكم أحسن عقلاً، وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله[٥].

وقال الطبري في قوله تعالى﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [٦] فذلك لا شك أنه في الآخرة، فعن ابن عباس أنه قال : إذا صاروا إلى الله جزاهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون [٧].

---

(١) سورة هود، آية ٧ .
(٢) سورة الملك، آية ٢ .
(٣) *أضواء البيان* ٣ / ١٠ – ١١ .
(٤) تفسير *الطبري* ١٢ / ٥ .
(٥) أخرجه **الطبري** في *تفسيره* ١٢ / ٥ .
(٦) سورة النحل، آية ٩٧ .
(٧) تفسير *الطبري* ١٤ / ١٧٢ .

أفادت الآية أن التفاضل بين المؤمنين الذين حسنت أعمالهم لا بينهم وبين من لم يشاركهم في أصل الإيمان .

قال الزمخشري[١]: فإن قلت : كيف قيل : (أيكم أحسن عملاً) وأعمال المؤمنين هي التي تتفاوت إلى حسن وأحسن ، فأما أعمال المؤمنين والكافرين فتتفاوت إلى حسن وقبيح .

قلت : الذين هم أحسن عملاً المتقون ، وهم الذين استبقوا إلى تحصيل ماهو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر وأطراح ذكر من وراءهم تشريفًا وتنبيهًا على مكانهم منه، وليكون ذلك لطفًا للسامعين، وترغيبًا في حيازة فضلهم [٢].

وقال القرطبي في بيان معنى (أيكم أحسن عملاً) أيكم أتم عقلاً .

وقال الحسن وسفيان الثوري[٣]: (أيكم أزهد في الدنيا) .

وقال مقاتل[٤] : (أيكم أتقى لله ، وقال ابن عباس : أيكم أعمل بطاعة الله عز وجل) [٥].

---

(١) هو محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري كان متكلمًا معتزلي المذهب، له مؤلفات منها: *الكشاف في التفسير، والمفرد والمركب في العربية، والفائق في تفسير الحديث*، توفي سنة ٥٣٨ هـ.
وفيات الأعيان ٥ / ١٦٨ – ١٧٤ ، *والوفيات* ، ص ٣٧٨ .

(٢) *الكشاف* ٢ / ٢٦٠ .

(٣) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري كان إمامًا في الحديث وغيره أجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقته في الرواية، له مصنفات منها: *الجامع الكبير والجامع الصغير*، توفي سنة ١٦١ هـ.
تاريخ بغداد ٩ / ١٥١ – ١٧٤ ، *والوفيات* ١٣٤ ، *والفهرست* **لابن النديم** ، ص ٣٣٨ .

(٤) هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء المروزي، أصله من بلخ وانتقل إلى البصرة، ودخل بغداد وحدث بها، توفي سنة ١٥٠ هـ بالبصرة .
وفيات الأعيان ٥ / ٢٥٥ ، *ميزان الاعتدال* ٣ / ١٩٦ ، *تاريخ بغداد* ١٣/١٦٠.

(٥) *تفسير القرطبي* ٩ / ٩ .

وقال القرطبي في موضع آخر : قال ابن عطية[١] كان أبي رضي الله عنه يقول في قولــه (أيكم أحسن عملاً) أحسن العمل أخذ بحق، وإنفاق في حق، مع الإيمان، وأداء الفرائض، واجتناب المحارم، والإكثار من المندوب إليه .

قال قلت : هذا قول حسن وجيز في ألفاظه بليغ في معناه، وقد جمعه صلى الله عليه وسلم في لفظ واحد وهو قولــه لسفيان بن عبد الله الثقفي لما قال : يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك – وفي رواية (غيرك) قال : قل : « آمنت بالله ثم استقم »[٢].

وقال الشوكاني : (أيكم أحسن عملاً) أي خلق هذه المخلوقات ليبتلي عباده بالاعتبار والتفكير، والاستدلال على كمال قدرته، وعلى البعث والجزاء أيهم أحسن عملاً فيما أمر به ونهى عنه، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، ويوفر الجزاء لمن أحسن عملاً من غيره، ويدخل في العمل الاعتقاد لأنه من أعمال القلوب ، وقيل المراد بالأحسن عملاً الأتم عقلاً ، وقيل الأزهد في الدنيا [٣].

وبهذا يتضح أن المراد هو الإسراع في طاعة الله وحسن العمل لا كثرته، حيث قال أهل التأويل في تأويل حسن العمل بأنه الأحسن طاعة، والأورع، والأتقى لله والأعمل بطاعة الله، والأزهد في الدنيا، والأخذ بحق

---

(١) هو عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن عطية الغرناطي الأندلسي فقيه مفسر، له مصنفات منها: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز وغيره، توفي سنة٥٤١هـ وقيل٥٤٦ هـ.

كشف الظنون ، ص ٤٣٩ ، *وبغية الوعاة* ، ص ٢٩٥ ، *والأعلام* ٣ / ٢٨٢ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان: باب جامع أوصاف الإسلام ١ / ٦٥ وانظر *تفسير القرطبي* ١٠ / ٣٥٥ .

(٣) *فتح القدير* ٢ / ٤٨٢ .

والإنفاق بحق مع الإيمان، وأداء الفرائض، واجتناب المحارم، ويدخل في ذلك الاعتقاد فإنه من أعمال القلوب .

ولا شك أن المعول عليه حسن العمل وإتقانه مع كونه خالصًا صوابًا ، لأن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، فإذاً لا بد أن يكون العامل مخلصًا نيته لله تعالى، محققاً المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا حقق العامل هذين الشرطين معًا صار العمل حسناً وإلا فلا .

وبناء على ما سبق يكون المعول عليه حسن العمل لا كثرته .

ثانيًا: من السنة النبوية

١ – عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تفضل الصلاة التي يستاك لها على الصلاة التي لا يستاك لها سبعين ضعفاً » (١).

دل الحديث على أن الصلاة التي يستاك أفضل من سبعين صلاة لا يستاك لها وبهذا يكون الحديث دليلاً على أنه ليس مدار التفضيل كثرة الفعل

---

(١) رواه **أحمد** في مسنده ٦ / ٢٧٢ ورواه **الحاكم** في *المستدرك* ١ / ١٤٦ *من طريق الإمام أحمد* ، ورواه **البيهقي** *في السنن الكبرى* ١ / ٣٨ .
وقال ابن القيم : هكذا رواه الإمام أحمد وابن خزيمة في صحيحه ، إلا أنه قال: إذا صح الخبر ، قال: وإنما استثنيت صحة الخبر لأني خائف أن يكون محمد لم يسمع الحديث عن الزهري ، وإنما دلسه عنه ، وقد قال عبدالله بن أحمد : قال أبي : إذا قال ابن إسحاق وذكر فلان فلا يسمعه .
وقد أخرجه الحاكم في صحيحه وقال: هو صحيح على شرط مسلم ولم يصنع الحاكم شيئًا فإن مسلمًا لم يرو في كتابه بهذا الإسناد حديثًا واحدًا اولا أحتج بابن اسحاق، وإنما أخرج له في المتابعات والشواهد ، وأما أن يكون ذكر ابن اسحاق عن الزهري من شرط مسلم فلا . وهذا وأمثاله هو الذي هو شأن كتابه وجعل تصحيحه دون تحسين غيره . *المنار المنيف* ، ص ص: ٢٠ – ٢١ .

ويؤيد أفضلية السواك ما جاء في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أنه قال لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » [(١)].

وعليه فيكون السواك سنة ومرضاة للرب كما جاء في الحديث الآخر : « أنه مطهرة للفم مرضاة للرب » [(٢)].

وقال في الحديث الآخر : « أكثرت عليكم بالسواك » [(٣)].

وقال ابن عباس : (مازال النبي صلى الله عليه وسلم يأمرنا به حتى خشينا أن ينزل عليه فيه) [(٤)].

وقد أورد ابن القيم أحاديث وآثار كثيرة في فضل السواك[(٥)].

وعقب عليها بقوله : وإذا كان هذا شأن السواك وفضله، وحصول مرضاة الرب به، وإكثار النبي صلى الله عليه وسلم على الأمة فيه، ومبالغته حتى عند وفاته، وقبض نفسه الكريمة - صلى الله عليه وسلم - لم يمتنع أن تكون الصلاة التي يستاك لها أحب إلى الله من سبعين صلاة [(٦)].

وبهذا تكون أحاديث السواك دليل على هذا القول ، حيث إنها أفادت أن العمل القليل وهو: صلاة يستاك لها أفضل من سبعين صلاة لا يستاك لها ، ومن المعلوم أن الصلاة الواحدة مع السواك أخف وأقل من سبعين صلاة، ومع ذلك الواحدة التي يستاك لها أفضل لموافقتها لمرضاة الرب جل وعلا .

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) سبق تخريجه، ص ١٢ .

(٢) رواه البخاري من حديث عائشة في كتاب الصوم: باب السواك الرطب واليابس٣ /٤٠.

(٣) أخرجه النسائي في كتاب الطهارة: باب الترغيب في السواك ١ / ١١ .

(٤) *المنار المنيف* ، ص ٢٤ ، ٣٣ .

(٥) *المنار المنيف* ، ص ٢٠ وما بعدها .

(٦) *المنار المنيف* ، ص ٢٩ .

وسلم : « دم عفراء أحب إلي من دم سوداوين » (١) يعني في الأضحية .

في هذا الحديث دلالة على أن العمل الأقل قد يكون أحب إلى الله تعالى .

فالحديث ظاهر في أن دم الشاة الواحدة العفراء أحب إلى الله من دم سوداوين ، مع أن السوداوين أكثر عملاً، وأكثر نفعاً، ومع ذلك دم الواحدة العفراء أحب إلى الله .

قال ابن القيم : وكذلك ذبح الشاة الواحدة يوم النحر أحب إلى الله من الصدقة بأضعاف ثمنها وإن كثر ثواب الصدقة ، وكذلك قراءة سورة بتدبر وتفهم وجمع القلب أحب إلى الله تعالى من قراءة ختمة سردًا وهذّاً وإن كثر ثواب هذه القراءة ، وكذلك صلاة ركعتين يقبل العبد فيهما على الله تعالى بقلبه وجوارحه، ويفرغ قلبه كله لله فيهما، أحب إلى الله تعالى من مائتي ركعة خالية من ذلك وإن كثر ثوابها عددًا .

٣ - وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبق درهم مئة ألف درهم قالوا وكيف قال : كان لرجل درهمان تصدق بأحدهما وانطلق رجل إلى عرض ماله فأخذ منه مائة ألف درهم فتصدق بها (٢).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢ / ٤١٧ وفي إسناده أبو ثقال قال فيه العقيلي ١ / ١٧٧ في الضعفاء (أبو ثقال المزي عن رباح بن عبدالرحمن في حديثه نظر) .
وقال البزار مشهور وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الحافظ في التقريب مقبول ، وقال الحافظ: في تهذيب التهذيب ، في حديثه عن أبي هريرة عندي نظر والظاهر أنه مقطوع.
وأخرجه **البخاري** في *التاريخ الكبير* ٤ / ١٩٧ - ١٩٨ موقوفًا من طريق توبه العنبري عن سلمى بن عتاب عن أبي هريرة ، وقال عقبه ويرفعه بعضهم ولا يصح .
قلنا : ورجاله ثقات رجال الصحيح غير سلمى بن عتاب فمجهول.
والحاصل إن الحديث ضعيف .

(٢) أخرجه النسائي في سننه في كتاب الزكاة باب جهد المقل ٥ / ٥٩ .
والحاكم في المستدرك ١ / ٤١٦ وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وأقره **الذهبي** في *تلخيص المستدرك* .

ولهذا قال الصحابة رضي الله عنهم : إن اقتصادًا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وبدعة .

فالعمل اليسير الموافق لمرضاة الرب وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أحب إلى الله تعالى من العمل الكثير إذا خلا من ذلك أو بعضه .

فمن يتصدق بألف دينار من جملة ماله – مثلاً – بحيث لم يكترث بها، والألف لم تنقصه نقصاً يتأثر به ، بل هي في بيته بمنزلة حصى لقيه في داره أخرج منه هذا المقدار ، إما ليتخلص من همه وحفظه ، وإما ليجاز عليه بمثله أو غير ذلك ، وآخر عنده رغيف واحد هو قوته لا يملك غيره ، فآثر به على نفسه من هو أحوج منه إليه محبة لله، وتقربًا إليه، وتوددًا، ورغبة في مرضاته، وإيثارًا على نفسه.

فبالله كم بعُدَّ ما بين الصدقتين في الفضل ، ومحبة الله وقبوله ورضاه، وقد قبل سبحانه هذه وهذه لكن قبول الرضا والمحبة، والاعتداد والمباهاة شئ، وقبول الثواب، والجزاء شيء .

وأنت تجد هذا في الشاهد في ملك تهدي إليه هدية صغيرة المقدار لكنه يحبها ويرضاها ، فيظهرها لخواصه وحواشيه، ويثني على مهديها في كلمات كهدية كثيرة العدد والقدر خيرًا لا تقع عنده موقعًا ولكن يكون في جوده لا يضيع ثواب مهديها، بل يعطيه عليها أضعافها، وأضعاف أضعافها، فليس قبوله لهذه الهدية مثل قبوله للأولى .

ولهذا قال ابن عمر أو غيره من الصحابة رضي الله عنهم لو أعلم أن الله يتقبل مني سجدة واحدة لم يكن غائب أحب إليّ من الموت ، إنما يريد به القبول الخاص وإلا فقبول العطاء والجزاء حاصل لأكثر الأعمال)[1].

وظاهر هذا الحديث وأمثاله أن الأجر على قدر حال المعطى لا على قدر المال المعطى، فصاحب الدرهمين حيث أعطى نصف ماله في حال لا يعطى

---

(١) *المنار المنيف* ، ص ص: ٣٠ – ٣١ .

فيها إلا الأقوياء يكون أجره على قدر همته، بخلاف الغني فإنه ما أعطى نصف ماله ولا في حال لا يعطى فيها عادة [١].

٤ – ما جاء في قصة الرجلين اللذين تيمما ثم صليا ، ثم وجدا الماء في الوقت فأما أحدهما فلم يعد الصلاة ، وأما الآخر فتوضأ وأعاد ، فقدما على النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبراه فقال للذي لم يعد :« أصبت السنة وقال للذي أعاد : لك الأجر مرتين » [٢].

ومن هذا الحديث يتبين لنا أن موافقة السنة أفضل من كثرة العمل ، فمثلاً تكثير النوافل بعد آذان الفجر وقبل الإقامة، الأفضل عدم ذلك لأنه صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك .

وكذلك لو أراد أحد أن يطيل ركعتي الفجر بالقراءة والركوع والسجود لكونه وقتاً فاضلاً بين الأذان والإقامة لا يرد الدعاء .

قلنا : خالفت الصواب لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخفف هاتين الركعتين[٣].

وكذا لو أراد أحد أن يتطوع بأربع ركعات خلف المقام بعد الطوف، أو أراد أن يصلي ركعتين خلف المقام بعد الطواف، ويطيل فيهما ، قلنا : هذا خطأ لأنه صلى الله عليه وسلم يخففها ولا يزيد على الركعتين لاقتصاره على

---

(١) حاشية **السندي** على *سنن النسائي* ٥ / ٥٩ .

(٢) أخرجه أبو داود من حديث أبي سعيد الخدري في كتاب الطهارة: باب في المتيمم يجد الماء بعدما يصلي ١ / ٩٣ ، وأخرجه **النسائي** في كتاب الغسل حديث ٤٣٣ **والدارمي** في كتاب الطهارة باب التيمم ١ / ١٥٥ ، والدار قطني في كتاب التيمم باب جواز التيمم لصاحب الجراح ١ / ١٨٨ **والحاكم** في *المستدرك* ١ / ١٧٩ ، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وانظر *التلخيص الحبير* ١ / ١٥٥ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء: باب قراءة القرآن بعد الحدث ١ / ٧٩ ومسلم في صلاة المسافرين باب الدعاء في صلاة الليل ١ / ٥٢٧ .

سورة الإخلاص في هاتين الركعتين [(١)].

٥ – عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله قال من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشئ أحب إلي مما افترضته عليه » [(٢)].

يدخل تحت هذا اللفظ جميع فرائض العين والكفاية، وظاهرة الإختصاص بما ابتدأ الله فرضيته ... ويستفاد منه أن أداء الفرائض أحب الأعمال إلى الله ... وفي الإتيان بالفرائض على الوجه المأمور به امتثال الأمر، واحترام الآمر، وتعظيمه بالانقياد إليه، وإظهار عظمة الربوبية، وذل العبودية فكان التقرب بذلك أعظم العمل [(٣)].

فالحديث ظاهر الدلالة في أن مدار التفضيل بين الأعمال هو فضلها وشرفها لا كثرتها وكميتها، حيث جاء النص في الحديث على أن أحب الأعمال إلى الله ما افترضه على عباده وإن كان قليلاً .

قال العز بن عبدالسلام : فإنه قد يؤجر على أحد العملين المتماثلين ما لا يؤجر على نظيره مع أنه لا تفاوت بينهما، ألا يتحمل مشقة الإيجاب ووجوب العقاب على الترك، ولذلك أمثلة منها : أن حج الفرض وعمرته متساويان بحج النفل وعمرته من كل وجه . ومنها : أن الذكر الواجب والمندوب متساويان من كل وجه، فإن تكبيرة الإحرام مماثلة لسائر التكبيرات وهي أفضل منهن بلا خلاف ... وقد يكون النفل من الصدقات أكمل مصلحة من الفرض في الزكاة، وتكون الزكاة أفضل ... ومدار ذلك كله قولـــه صلى الله عليه وسلم : « لن يتقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه » .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحج: باب حجه صلى الله عليه وسلم ٢ / ٨٨٦ .
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق: باب التواضع ٧ / ١٩٠ .
(٣) *فتح الباري* ١١ / ٢٩٤ .

ولا شك أن هذا الحديث معمول به إذا ساوى الفرض النفل، كما ذكرناه في حج الفرض وحج النفل فإنهما متساويان من كل وجه .

أما إذا تفاوتا بالقلة والكثرة مثل: أن زكى بخمسة دراهم ويتصدق بعشرة آلف درهم ... فيحتمل في مثل هذا أن يكون الفرض أفضل من النفل من غير نظر إلى تفاوت المصلحتين ، ويحتمل أن يخص الحديث بالعملين المتساويين في المصلحة كدرهم الزكاة مع درهم الصدقة ... ولكن فيه مخالفة لظاهر الحديث وليس ببعيد من تفضيل الرب أن يؤجر على أقل العملين المتجانسين أكبر مما يؤجر على أكثرهما (١).

٦ – عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجل استأجر أجراء فقال : من يعمل لي من غدوة إلى نصف النهار على قيراط، فعملت اليهود ، ثم قال من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط، فعملت النصارى ، ثم قال: من يعمل لي من العصر إلى أن تغيب الشمس على قراطين، فأنتم هم ، فغضبت اليهود والنصارى فقالوا: ما لنا أكثر عملاً وأقل عطاءً قال هل نقصتكم من حقكم قالوا: لا قال: فذلك فضلي أوتيه من أشاء»(٢).

في الحديث دلالة على أن الثواب ليس على قدر النصب، وذلك أن اليهود والنصارى أكثر من هذه الأمة عملاً، ومع ذلك فإن هذه الأمة أكثر فضلاً، وعليه فلا تكون الأفضلية معلقة بكثرة العمل، قال ابن كثير : والمراد من هذا التشبيه بالعمال تفاوت أجورهم، وأن ذلك ليس منوطاً بكثرة العمل وقلته، بل بأمور أخرى معتبرة عند الله تعالى، وكم من عمل قليل أجدى ما لايجديه العمل الكثير، هذه ليلة القدر العمل فيها أفضل من عبادة ألف شهر سواها، وهؤلاء

---

(١) *قواعد الأحكام للعز بن عبدالسلام* ١ / ٢٥ ، ٢٦ .
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإجارة، باب الإجارة إلى نصف النهار ٣ / ٤٩ – ٥٠ .

أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أنفقوا في أوقات لو أنفق غيرهم من الذهب مثل أحد ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه من تمر وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره، وقبضه وهو ابن ثلاث وستين سنة على المشهور، وقد برز في هذه المدة التي هي ثلاث وعشرون سنة في العلوم النافعة، والأعمال الصالحة على سائر الأنبياء قبله، حتى على نوح الذي لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ويعمل بطاعة الله ليلاً ونهار، وصباحاً ومساء، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء أجمعين ، فهذه الأمة إنما شرفت وتضاعف ثوابها ببركة سيادة نبيها وشرفه وعظمته، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٢٨ لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ (١).

٧ – ماروى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربون أعناقكم ؟ قالوا : بلى قال : « ذكر الله » (٢).

دل هذا الحديث على أن الثواب لا يترتب على قدر النصب والتعب في العبادات، بل قد يؤجر على قليل الأعمال أكثر مما يؤجر على كثيرها، فإذا الثواب يتفاوت بتفاوت الشرف والرتب .

٨ – عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال

---

(١) سورة الحديد ، الآيتان(٢٨ – ٢٩) ، وانظر *البداية والنهاية* ٢ / ١٤٦ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٦ / ٤٤٧ ، والترمذي في كتاب الدعاء: باب رقم ٦ ، حديث ٣٣٧٧ ، ٥ / ٤٥٩ ، وابن ماجة في كتاب القرآن: باب ما جاء في ذكر الله تبارك وتعالى موقوفاً على أبي الدرداء حديث ٣٧٩٠ ، ١ /٢١١ .

حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه » [١].

دل الحديث على أفضلية هذا الذكر على بقية الأعمال الأخرى، مع أنها قد تكون أشق، وعليه فلا تكون كثرة العمل هي مدار التفضيل .

٩ – عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان » [٢].

في الحديث دلالة واضحة على أن الكثرة ليست هي دليل الأفضلية، وذلك أن أفضل الإيمان قول لا إله إلا الله، وأدناه إماطة الأذى عن الطريق، ومعلوم ألا إله إلا اللّٰه أخف من إماطة الأذى عن الطريق، بل وأخف من بقية شعب الإيمان، وعليه يكون الحديث فيه دلالة على أن الأفضلية ليست منوطة بالكثرة وهذا ظاهر .

١٠ – وعن أبي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الأعمال أفضل قال : « إيمان بالله قال : ثم ماذا ؟ قال الجهاد في سبيل الله ، قال : ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور » [٣].

فهذا الحديث ظاهر الدلالة حيث جعل النبي صلى الله عليه وسلم أفضل الأعمال الإيمان بالله جل وعلا ، وجعل الجهاد دونه في الأفضلية مع أنه أشق من الإيمان بالله بكثير .

١١ – عن ابن عباس عن جويرية أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى أصبح، وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء: باب فضل التهليل والتسبيح ٤ / ٣٠٧١ .
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان: باب عدد شعبة الإيمان وأفضلها وأدناها ١ / ٦٣ .
(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان: باب بيان كون الإيمان بالله أفضل الأعمال ١ / ٨٨ .

وهي جالسة فقال : « مازلت على الحال التي فارقتك عليها ؟ قالت : نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته »[(١)].

في الحديث دلالة ظاهرة على فضل هذه الكلمات القليلة على الذكر الكثير الذي قالته جويرية، مما يدل على أن أفضلية الأعمال والأقوال ليست معلقة بالكثرة .

١٢- عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم »[(٢)].

١٣ - دل الحديث على أن الأجر على قدر الطاعة، ومنفعة العمل وفائدته، ولو كان ذلك سهلاً ميسرًا لا على قدر المشقة، والتعب، والكثرة .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة في غيره من المساجد إلا المسجد الحرام » وفي لفظ « صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام »[(٣)].

دل الحديث على فضل العمل في هذه الأماكن، وإن الصلاة الواحدة في المسجد النبوي تساوي ألف صلاة على كثرتها ومشقتها في غيره من المساجد إلا المسجد الحرام ، فدل الحديث على أن العبرة ليست بكثرة العمل .

١٤ - عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن، ويتعتع

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء: باب التسبيح أول النهار ٤ / ٢٠٩٠ .
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء: باب فضل التهليل والتسبيح ٤ / ٢٠٧٢ .
(٣) أخرجه مسلم في كتاب الحج: باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ٢ / ١٠١٢ .

فيه، وهو عليه شاق، له أجران »[١].

دل الحديث على أن الثواب لا يترتب على قدر النصب بدليل أن الماهر بقراءة القرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران، فلم يبلغ منزلة الماهر بالقرآن مع ما يلحقه من المشقة .

قال القاضي وغيره من العلماء (وليس معناه الذي يتعتع عليه له من الأجر أكثر من الماهر، بل الماهر أفضل وأكثر أجرًا لأنه مع السفرة، وله أجور كثيرة ، ولم يذكر هذه المنزلة لغيره وكيف يلحق به من لم يعتن بكتاب الله تعالى وحفظه، وإتقانه، وكثرة تلاوته، وروايته، كاعتنائه حتى مهر فيه)[٢].

والأدلة الدالة على أن العبرة بحسن العمل وتمامه ، وأن الأجر والثواب لا يترتب على الكثرة والنصب ، وإنما يترتب الأجر على قدر الطاعة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ومنفعة العمل وفائدته كثيرة، ومتنوعة الدلالة .

يقول شيخ الإسلام : (والعمل تكون منفعته وفائدته تارة من جهة الأمر فقط ، وتارة من جهة صفته في نفسه ، وتارة من كلا الأمرين ، فبالاعتبار الأول ينقسم إلى طاعة ومعصية ، وبالثاني ينقسم إلى حسنة وسيئة، والطاعة والمعصية اسم له من جهة الأمر، والحسنة والسيئة اسم له من جهة نفسه)[٣].

الراجح

مما سبق تبين أن أدلة القول القائل إن العبرة ليست بكثرة العمل، وما فيه من النصب والتعب قوية ، لأن هناك اعتبارات إذا وجدت صار القليل فاضلاً

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها: باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتعتع فيه ١/ ٥٤٩ – ٥٥٠ .

(٢) *شرح النووي على مسلم* ٦ / ٨٥ .

(٣) مجموع *فتاوى شيخ الإسلام* ١٠ / ٦٢١ .

على الكثير وذلك لأن للتفضيل أسبابًا .

قال ابن القيم : (على المتكلم في هذا الباب أن يعرف أسباب الفضل أولاً ثم درجاتها، ونسبة بعضها إلى بعض، والموازنة بينها ثانياً، ثم نسبتها لمن قامت به، ثالثاً كثرة وقوة ، ثم تفاوتها بتفاوت محالها، رابعاً فرب صفة هي كمال الشخص، وليست كمالاً لغيره بل كمال غيره بسواها)[(١)].

وقد سبقت أقوال شيخ الإسلام في هذا، وكذلك أقوال ابن القيم وغيرهما من أهل العلم فلا داعي للإعادة .

فإذًا : ما من شك في أن كل ما يجده الإنسان في طريق قيامه بالعبادة من المشاق محسوب له، فيزيد الثواب بزيادة المشقة، لكن المشقة أصلاً هي غير مقصودة من العامل، بل هي من مستلزمات العمل ، أما قصد المشقة ذاتها ، فإنه قصد باطل مخالف لقصد الشارع لعموم قولـه صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات »[(٢)].

وللمكلف أن يقصد العمل الشاق لعظم أجره لا من أجل المشقة كمن يقصد الجهاد في سبيل الله .

فإذا علم هذا نستطيع أن نجمع بين القولين فنقول :

إن الثواب والأجر يترتب على تفاوت الرتب في الشرف ، فإن تساوت الرتب من كل وجه كان أكثر الثواب على أكثرهما فعلاً أو قولاً، لعموم قولـه تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾[(٣)] ولعموم قولـه صلى الله

---

(١) *بدائع الفوائد* ٣ / ١٦٣ .

(٢) سبق تخريجه، ص ١٨ .

(٣) سورة الزلزلة، آية ٧ .

عليه وسلم :«إلا أحد قال : مثل ما قال أو زاد عليه »[(١)] والله أعلم .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين وله الشكر في البدء والختام، والصلاة والسلام على رسول الله المبعوث رحمة للأنام، وبعد :

من خلال بحث هذه القاعدة بحثاً تأصيلاً توصلت إلى النتائج التالية :

١)في مبحث بيان معنى القاعدة تبين أن معناها ما يلي :

أ) تبين أن معناها في اللغة : أنه إذا كثر العمل والجهد كثر الثواب، وإذا قل العمل والجهد قل الثواب، فالكثرة والقلة في الثواب تابعة لكثرة العمل وقلته .

ب) تبين أن معناها في الاصطلاح : أنه إذا اتحد نوع العبادة مع عبادة أخرى في الشرف، والشرائط، والسنن، والأركان، وسائر الوظائف، وتميزت إحداهما على الأخرى بزيادة مشقة غير مقصودة زادت عليها بالأجر .

٢)في مبحث الاستدلال على القاعدة تبين ما يلي :

أ) في مبحث الاستدلال عليها من الكتاب دلت الأيات القرآنية أن كثرة الأعمال الصالحة، وما يترتب على ذلك من جهد محسوب في ميزان العبد، وأنه كل ما كان العمل أكثر كان الأجر أكثر ، فكل سعي يسعاه الإنسان قليلاً كان أو كثيراً يثاب عليه، فكل ما كثر سعيه في طرق الخير كلما كثر ثوابه .

ب) وفي مبحث الاستدلال من السنة: دلت الأحاديث النبوية على اعتبار قاعدة ما كان أكثر فعلا كان أكثر فضلاً، فلا تكاد تجد باباً من أبواب العلم إلا ويوجد فيه أحاديث تدل على أن كل ما يعمله الإنسان من خير أو شر محسوب في ميزان أعماله قليلاً كان أو كثيرًا، وإنه كلما ازداد العمل الصالح ازداد الأجر والثواب، وهذا ما صرحت به كثير من الأحاديث .

---

(١) سبق تخريجه، ٩٣ .

ج) وفي مبحث الاستدلال على القاعدة من أقوال الصحابة وردت آثار كثيرة عنهم تدل على معنى القاعدة كلها تلهج وتدل على المسابقة في الخيرات، والتنافس فيها، والإكثار من ذلك، وإنه كلما كثر العمل كثر الثواب وكذلك الحال بالنسبة للتابعين ، فإنهم ركبوا في التعبد لله أعلى ما بلغته طاقتهم حتى كان من أصلهم الأخذ بعزائم العلم وترك الرخص جملة .

د) تبين أن الأدلة التي استدل بها على القاعدة من كتاب الله معارضة بأدلة أخرى جاءت في كتاب الله دالة على أن المعول عليه هو: حسن العمل، وشرفه، لاكثرته وكميته.

هـ) وتبين أن ما جاء في السنة النبوية في الاستدلال على القاعدة قد أجيب عنه بجوابين، أحدهما : عام وهو أن المراد حسن العمل وشرفه لا كميته وكثرته . وثانيهما : جواب تفصيلي لكل دليل بعينه كما هو موضح في موطنه .

٣) في مبحث أراء العلماء في القاعدة : تبين أن للعلماء في القاعدة قولين :

القول الأول : إن ما كان أكثر فعلاً كان أكثر فضلاً غير أنه يستثنى من ذلك صور.

القول الثاني : أن الفضل لا يتعلق بالعمل وكثرته بل يتعلق بنفعه، وفائدته، وموافقته لمرضاة الله تعالى، وقد دل على هذا القول الكتاب والسنة .

٤) وتبين من هذين القولين : إن أدلة القول القائل أن العبرة ليست بكثرة العمل، وما فيه من النصب والتعب قوية ، كما تبين أن كل ما يجده الإنسان في طريق قيامه بالعبادة من المشاق محسوب له فيزيد الثواب بزيادة المشقة، لكن المشقة هي أصلاً غير مقصودة من العامل بل هي من مستلزمات العمل، أما قصد المشقة ذاتها فإنه قصد باطل .

وتبين أنه يمكن الجمع بين القولين : فنقول إن الثواب والأجر يترتب على تفاوت الرتب في الشرف ، فإن تساوت الرتب من كل وجه كان أكثر الثواب على

أكثرهما فعلاً أو قولاً لعموم قوله تعالى : (فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره) ولعموم قوله صلى الله عليه وسلم : « إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه » .
وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

مصادر البحث

ابن السبكي (١٣٨٦ هـ) *طبقات الشافعية* ، تحقيق محمود الطناجي وعبدالفتاح .

ابن القيم ، *المنار المنيف في الصحيح والضعيف* ، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة.

ابن القيم ، *مفتاح دار السعادة* ، الناشر مطبعة محمد صبيح بمصر .

ابن القيم الجوزية ، *بدائع الفوائد* ، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان .

ابن القيم الجوزية (١٣٩٣ هـ) *مدارج السالكين* ، الطبعة الثانية .

ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر ، *إعلام الموقعين* ، طبعة دار الجيل ، بيروت ، راجعه وعلق عليه طه عبدالرؤوف سعد .

ابن تيمية ، مجموع *فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية* ، مطابع الرياض .

ابن تيمية ، *منهاج السنة في نقض كلام الشيعة والقدرية* ، نشر مكتبة الرياض.

ابن تيمية، أبي العباس تقى الدين أحمد بن عبدالحليم(١٤٠٣هـ) *الاستقامة* ، تحقيق رشاد سالم .

ابن حجر ، *فتح الباري شرح صحيح البخاري* ، دار المعرفة، الطبعة الثانية .

ابن فارس (١٣٨٩هـ) معجم *مقاييس اللغة* ، تحقيق عبدالسلام هارون الطبعة الثانية .

ابن قاضي شهبة ، *طبقات الشافعية* ، تحقيق الحافظ خان .

ابن كثير ، *البداية والنهاية* ، مطبعة الفجالة الجديد بالقاهرة ، تحقيق ومراجعة محمد بن عبدالعزيز البخار .

أبي بكر الهيثمي (١٤٠٢هـ) *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد* ، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة .

أبي حفص النسبي ، *طلبة الطلبة* ، تحقيق خالد العك، دار النفائس .

أبي عيسى ، *سنن الترمذي* ، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

أبي محمد عز الدين عبدالسلام ، *قواعد الأحكام في مصالح الأنام* ، دار الكتب العلمية، بيروت.

أحمد بن حنبل ، *مسند الأمام أحمد بن حنبل* ، طبعة المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت .

الأزدي، أبي داود سليمان بن الأشعث ، *سنن أبي داود* ، تحقيق محمد محي الدين الناشر دار إحياء السنة النبوية .

الأصبهاني، الراغب ، *المفردات في غريب القرآن* ، نشر مكتبة الأنجال المصرية .

الأصبهاني ، ياقوت (١٤٠٠هـ) معجم *الأدباء* ، طبعة دار الفكر، الطبعة الثالثة.

الأصبهاني، أبي إسحاق ، *الموافقات في أصول الشريعة* ، طبعة دار المعرفة ، بيروت وعليه شرح عبدالله دراز .

الأصفهاني، أبي نعيم أحمد بن عبدالله ، *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء* ، دار الفكر.

الألباني، محمد ناصر الدين ، *إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار الحديث* ، نشر المكتب الإسلامي بدمشق .

الأنباري، أبي البركات ، *نزهة الألباء في طبقات الأدباء* ، تحقيق إبراهيم السامرائي، الطبعة الثالثة .

البخاري، أبي عبدالله محمد بن اسماعيل ، صحيح *البخاري* ، المكتب الإسلامي .

البستي، محمد بن حبان بن أحمد ، صحيح *ابن حبان* ، تحقيق عبدالرحمن عثمان، طبعة المدينة المنورة .

البغوي (١٤٠٠هـ) شرح *السنة* ، تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط ، المكتب الإسلامي.

البقاعي، علي العدوي تحقيق يوسف ، *حاشية العدوي* ، دار الفكر، بيروت .

البوطي، محمد سعيد رمضان ، *ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية* ، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت .

البيهقي (١٣٤٤هـ) *السنن الكبرى* ، الطبعة الهندية .

التمري، ابن عبدالبر ، *التمهيد* ، تحقيق مصطفى العلوي ، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب .

التمياطي، محمد ، *إغاثة الطالبين* ، دار الفكر، بيروت .

الجرجاني، أبي الحسن علي بن محمد ، *التعريفات* ، الناشر دار الكتب ببيروت.

جمال الدين، أبي المحاسن ، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة* ، طبع في مطبعة دار الكتب بالقاهرة .

الحافظ، سليمان بن داود الفارسي (١٣٢١هـ) مسند *الطيالسي*.

الحاكم، النيسابوري (١٣٣٤هـ) *المستدرك على الصحيحين* ، حيدر أباد وبذيله التلخيص للذهبي .

الحنفي، عبدالقادر بن أبي الوفاء القرشي (١٣٣٢هـ) *الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية* ، طبعة الهندسة.

الخطيب، أحمد بن علي ، *تاريخ بغداد* ، الناشر دار الكتاب العربي ببيروت.

الدرامي أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن (١٣٨٦هـ) *سنة الدارمي* ، تحقيق عبدالله هاشم.

الدارقطني، علي بن عمر ، *سنن الدارقطني* ، طبعة عبدالله هاشم بماني وبذيلة الغليق المغني على الدار قطني .

الذهبي، محمد بن أحمد ، *تذكرة الحفاظ* ، الطبعة الثالثة نشر دائرة المعارف النظامية .

الذهبي(١٤٠٥هـ) *العبر* ، تحقيق أبو هاجر زغلول دار الكتب العلمية، بيروت.

الذهبي(١٤٠١ هـ) *سير أعلام النبلاء* ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وجماعة نشر، مؤسسة الرسالة .

الذهبي (١٣٨٣هـ) *ميزان الإعتدال* ، تحقيق محمد علي البجادي، طبعة عيسى الحلبي.

الرازي، محمد بن أبي بكر (١٩٦٧ م) *مختار الصحاح* .

الرضى، محمد بن أحمد أبو سهل ، *أصول الرضى* ، تحقيق أبي الوفاء الأفغاني عنيت بنشره مجلة دار المعارف النعمانيه بجيد أباد بالهند وطبع بمطابع دار المعرفة ببيروت .

الزركشي، بدر الدين ، *المنثور في القواعد* ، تحقيق تيسير محمود، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية .

الزركلي، خير الدين (١٩٧٩م) *الأعلام* الطبعة الرابعة، دار العلم .

السخاوي (١٣٥٣هـ) *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع* ، طبع في مصر .

السرخسي، شمس الدين (١٣٩٨هـ) *المبسوط* ، الطبعة الثالثة دار المعرفة بيروت.

السيوطي ، *حاشية السندي* ، بهامش سنن النسائي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، لبنان .

السيوطي (١٣٩٦ هـ) *طبقات المفسرين* .

السيوطي الحافظ جلال الدين (١٣٤٨هـ) *سنن النسائي* ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت .

السيوطي جلال الدين ، *حسن المحاضرة* ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم دار أحياء الكتب العربية .

السيوطي جلال الدين ، *الأشباه والنظائر* ، دار الباز للنشر والتوزيع .

السيوطي عبدالرحمن (١٣٨٤هـ) *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنجاة* ، تحقيق محمد أبي الفضل ، دار أحياء الكتب العربية .

شمس الدين بن خلكان ، *وفيات الأعيان وأبناء الزمان* ، تحقيق إحسان عباس طبعة الثقافة، بيروت .

الشنقيطي محمد الأمين المختار ، *أضواء البيان في إيضاح القرآن* ، عالم الكتاب، بيروت .

الشوكاني محمد بن علي ، *فتح القدير* ، الطبعة الثالثة .

الشيخ محمد بن علي حسين ، *تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية* ــ بها مش الفروق ، دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت .

الطبري أبي جعفر محمد بن جرير (١٣٨٨هـ) *تفسير بن جرير الطبري* ، الطبعة الثالثة.

عبدالرحمن بن رجب ، *قواعد ابن رجب* ، الناشر دار المعرفة، بيروت .

عبدالرحمن بن شهاب الدين أحمد بن رجب ، *ذيل على طبقات الحنابلة* ، دار المعرفة، بيروت .

العجلولي ، *كشف الخفاء* ، دار التراث، القاهرة .

العسقلاني ابن حجر، *تقريب التهذيب* ، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف ، نشر محمد سلطان صاحب المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

العسقلاني أحمد بن حجر ، *الدرر الكامنة في أعيان الماشة الثامنة* ، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة بعابدين .

العيني ، *عمدة القارئ شرح صحيح البخاري* ، دار التراث العربي، بيروت.

الفزوني أبي عبدالله ابن ماجة (١٣٩٥هـ) *سنن ابن ماجة* ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي دار أحياء التراث العربي عام.

القاضي محمد بن علي الشوكاني ، *البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع* ، دار المعرفة، بيروت .

القرافي، شهاب الدين ، *الفروق* ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت .

القرشي، أبي الفداء إسماعيل ابن كثير ، *تفسير ابن كثير* ، دار الفكر .

القرطبي، أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري ، *تفسير القرطبي* ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، لبنان .

القشري أبي الحبش مسلم بن الحاج ، *صحيح مسلم* ، تحقيق فؤاد عبدالباقي دار أحياء التراث العربي .

الكنوي ، *الفوائد البهية في تراجم الحنفية* ، دار المعرفة، بيروت .

الحنبلي، ابن العماد ، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب* ، نشر الآفاق الجديد ببيروت .

اللخمى، أبي اسحاق إبراهيم موسى ، *الاعتصام* ، طبعة المكتبة التي بمصر .

مالك بن أنس ، *موطأ الإمام مالك بن أنس* ، تحقيق فؤاد عبدالباقي دار أحياء التراث العربي .

المالكي ابن فرحون ، *الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب* ، دار الكتب العلمية .

مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، *القاموس المحيط* ، الطبعة الثالثة .

محمد بن سعد (١٣٧٦هـ) *طبقات ابن سعد*.

محمد بن منظور ، *لسان العرب* ، دار صادر، بيروت .

محمد رشيد رضا ، *تفسير المنار* ، دار المعرفة، بيروت .

محمد شاكر ، *فوات الوفيات* ، تحقيق حسان عباس، دار صادر، بيروت .

المراغي أحمد مصطفى (١٣٩٤ هـ) *تفسير المراغى* ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.

النفراوي، أحمد ، *الفواكه الدواني* ، دار الفكر، بيروت .

النووي، محي الدين بن شرف (١٤٠٨هـ) *تحرير ألفاظ التنبيه* ، تحقيق عبدالغني الدقر، دار العلم، دمشق.

النووي شرق الدين (١٣٩٢هـ) *شرح النووي على صحيح مسلم* ، دار أحياء التراث، الطبعة الثانية .

النيسابوري، أبي منصور ، *يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر* ، دار الفكر والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة .

اليوسف ، صالح بن سليمان ، *المشقة تجلب التيسر* ، المطابع الأهلية للأوفست .